

روايات مصرية الجيب

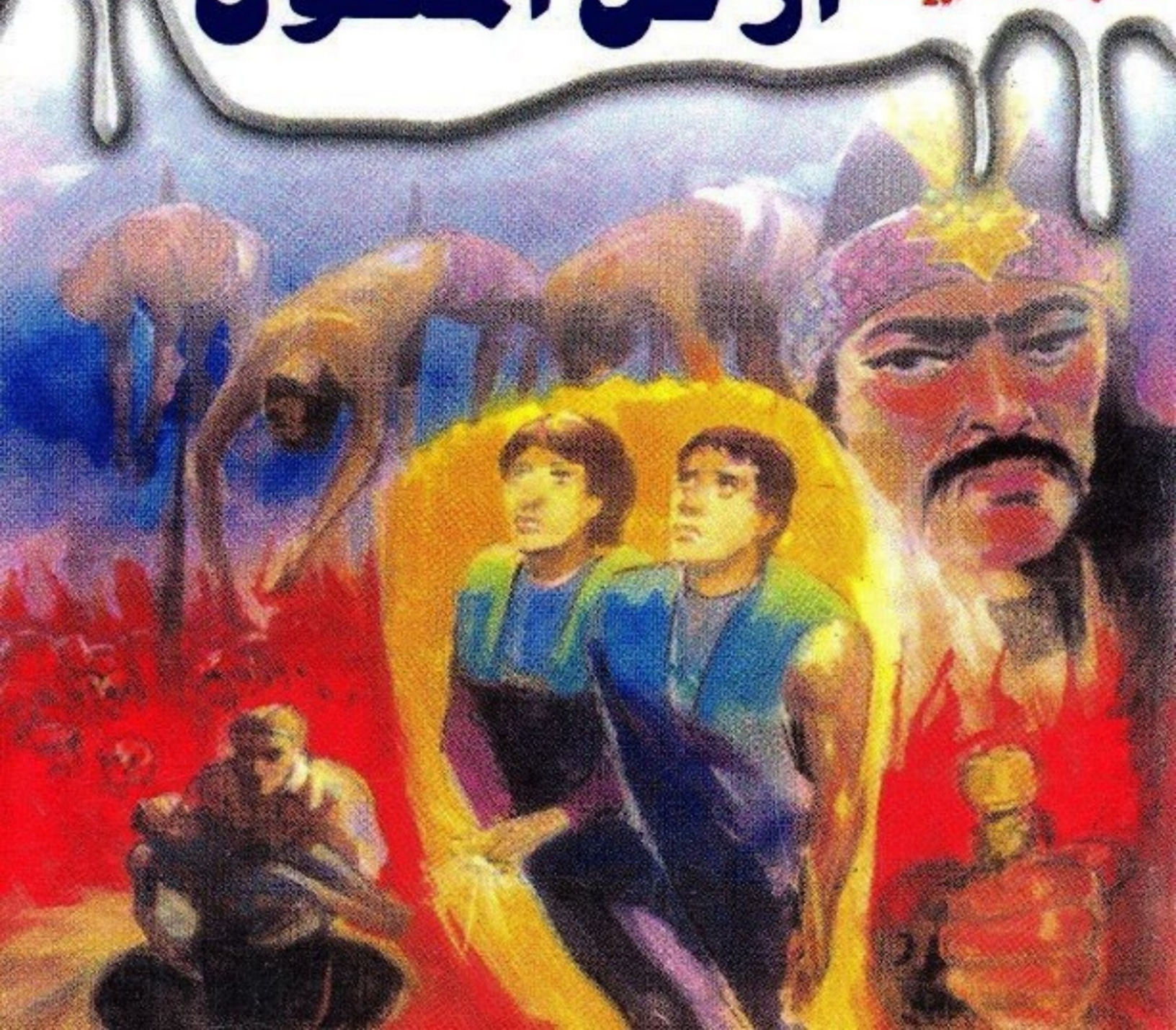
مكتبة
TELEGRAM NETWORK
2020



أسطورة

33

أرض المغول ما وراء الطبيعة



مكتبة

Telegram Network 2020

«المكتبة النصية»

قام بتحويل سلسلة:

(ما وراء الطبيعة)

د. «د. أحمد خالد توفيق»

إلى صيغة نصية:

(فريق الكتب النادرة)

يزن – المملكة المتحدة



مقدمة

مرحبًا بكم...

الآن - وقد حانت الساعة السابعة - يمكننا أن نبدأ جلسة أخرى مع الشيخ (رفعت إسماعيل)، الذي كان بودنا لو اعتبرناه شبيهًا بـ (شهرزاد)، لولا سعاله المزعج وتجاعيده وصلعته البراقة ونحوه الذي لا يُصدق..

(شهرزاد) كانت مضطرة لأن تحكى قصصًا مسلية للأبد؛ حتى لا يطير الأخ (شهریار) رأسها الجميل..

و (رفعت) مضطر لأن يحكى قصصًا يحاول أن تكون مسلية؛ حتى يجد سببًا

واحدًا لاستمراره في الحياة بعد الستين.
انتهى وقود (شهرزاد) من الحكايات بعد
ألف ليلة وليلة.. فمتى ينتهي وقود (رفعت
إسماعيل) العجوز؟ بعد قصة؟ بعد
خمسين؟ بعد مائة؟

ما زال في جعبتي الكثير على كل حال..
وفي الغالب سأقضي نحبي وأنا أتكلم..
سألني كثيرون منكم عما حدث لـ (عزت)
بعد قراءة التعاويذ الاسكتلندية (في رعب
المستنقعات).. وسألني آخرون عن مصير
(هاري) والدمية في (حكايات التاروت)..
هذه هي مشكلتي.. إنني أترك - في زحفي
للأمام - جيوبًا مطوقة لا تنتهي.. وعلى أن
أعود لأقضي عليها.. هكذا تقضى
استراتيجية (ليدل هارت)..

سأعود لهذين الجيبين وجيوب أخرى
كثيرة في الكتيبات القادمة..

وهأنذا أعود لجيب قديم منسي.. (سالم
وسلمى).. لقد أرسلنا لي عدة مغامرات من
مغامراتهما العجيبة في أبعاد أخرى..
وكنت قد وعدتكم بأن أقدم لكم (أرض
المغول).. وهو وعد تأخرت في الوفاء به
خمسة وعشرين كتيبًا.. وبضعة أعوام..
لكني لن أنتظر أكثر..

في الصفحات القادمة أترك للأخ (سالم)
الصفحات تمامًا.. وأعدكم بأن أعود في
نهاية الكتيب لأقدم رأيًا سخيًّا لا لزوم له
على الإطلاق كعادتي..

إذن اقلبوا الصفحة أو انظروا لليसार..
وهلموا إلى (أرض المغول)..



مقدمة أخرى

اعتاد (رفعت إسماعيل) العجوز أن يقدم لكم في أول صفحتين أو ثلاث من قصصه، ملخصًا سريعًا للأجزاء السابقة.. وغالبًا ما يكتبه تحت عنوان (فلننعمش ذاكرتنا) أو أي عنوان سخييف آخر.. والحق أنني أجد في هذا نوعًا من التعنت، يفترض أن القارئ له ذاكرة متطايرة لا تصمد فيها التفاصيل.. ولهذا لن أضايكم بملخص من هذا النوع، أو - على الأقل - بهذا الطول المفرط..

أنا (سالم شحاته).. وزوجتي (سلمى شحاته).. ونحن نسختان كاملتا التشابه..

لكنّ هذا لا يعود إلى تجارب الاستنساخ -
التي يتحدث عنها الجميع - لكنّ يعود إلى
أننا من عالمين متشابهين في مجرتين
مختلفتين..

و(سلمى) هي التي تملك جهاز (ناقل
الجزئيات) الذي ينقلها باستمرار وسط
أبعاد أخرى.. ومن قرأ الكتيب الثامن
يعرف أننا غادرنا الكوكب (٣٢٢ - ب -
٣) هاربين بجلدنا من عصابة كادت تفتك
بنا..

هذا كافٍ جدًّا.. ويمكننا أن نبدأ السرد
دون تعقيدات.. أنتم الآن تعرفون قواعد
اللعبة.. فلماذا لا تنطلق صفارة بدء
اللعبة؟!..



١ - أين نحن؟

تم التجسد في قبو مظلم رطب عطن
الرائحة متسخ مهجور..

برغم هذا كنا قادرين على أن يرى
بعضنا البعض.. وأدركت أننا نبداً مغامرتنا
في هذا العالم الجديد في أسوأ حال من
البعثرة و(البهذلة).. فالدماء تسيل من شفتي
ومن أنفي.. وقد فقدت فردة حذاء، بينما
شعر (سلمى) قد تحول إلى حزمة من
الكتان... وأنفها أحمر كأنف إسكافي ثمل
من أبطال (تشيكوف)..
- «هل أنت بخير؟»

وهو سؤال سخيـف لأننا نشعر بذات الأشياء ما، بنفس الطريقة... ومعنى أن كل عظمة من عظامي مهشمة، هو أنها ليست أفضل حالاً..

- «لقد فررنا في الوقت المناسب..»

- «دقيقة أخرى كانت ستحولنا إلى لحم

مفروم..»

ثم إنها جلست متكئة على ذراعيها المفرودتين.. وسألتني:

- «قبو آخر؟»

- «هذا واضح.. إنه بدروم وكر العصاـبة

في هذا الكوكب.. وبالطبع يقع خارج

(حلوان) هذا الكوكب..»

وللأسف كان ضغطها على الأرقام

عشوائياً في (ناقل الجزيئات)، لذا صار من

المستحيل أن نعرف رقم هذا الكوكب..
على كل حال لن يحدث هذا فارقًا كبيرًا..
إنها أرض أخرى وكفى.. أرض تشبه
أرضنا هذه في أكثر الأشياء وتختلف عنها
في أشياء معينة لها أثر لا يُصدق..

وننهضنا متثاقلين.. وبالطبع نرعت فردة
حذائي الباقية طلبًا للتماثل.. ثم اتجهنا إلى
مخرج القبو.. كان الظلام دامسًا لكنّ
(سلمى) ألقت ملاحظة عابرة:

- «يبدو أنّ هذه أرض بلا فئران..»
تفكرت في كلامها حينًا.. حقًا لم نر فأرًا
واحدًا في هذا القبو.. لكنّ لا معنى لهذه
الملحوظة:

- «لا يوجد فأر هنا.. لكني لم أر في
حياتي الفئران تقف لاستقبالي بلافتات

الترحيب في كل مكان أزوره... لنقل إن
هذا قبو نظيف..»
تشممت الهواء وقد تقلص وجهها..
وقالت:

- «بالعكس.. العطن في كل مكان..
والقاذورات.. لو لم يوجد فأر هنا فلا فئران
في هذه الأرض أساسًا..»
وبدأنا نرقى في درجات السلم المتصدعة
ذات الصرير..
يوجد باب في أعلى الدرج.. لكنه موارب
لحسن الحظ..

حبسنا أنفاسنا.. ومددت يدي إلى المقبض
لأزيد مجال الرؤية حينما سمعنا أنة.. أنة
صادرة من خلفنا لا من أمامنا..

لقد كان هناك أحد في القبو معنا! تبًا لهذا الكلام.

- «هل سمعت؟»

هزت رأسها أن نعم.. وازدادت التصاقًا بي..

هنا لمحنا شيئًا يتوهج في ركن القبو البعيد.. شيئًا أقرب إلى عود ثقاب يتحرك ليعانق فتيل شمعة.. ثم غدا الضوء واضحًا.. واستطعنا أن نرى امرأة..

كانت راقدة فوق قطع من الخرق تم حشدها كيفما اتفق لتكون فراشًا بدائيًا.. وجوارها دورق ماء مكسور وشمعة وسكين..

أما عن المرأة نفسها فلم تكن تثير الذعر لأنها مخيفة.. بل لأنها مذعورة أكثر منا..

إنه ذلك النوع من الخوف الذي يجعل
العينين تجحطان والشفَتين تتقلصان..
ويغدو المرء معه مرعبًا أكثر من أي
شبح..

وأدركنا - برغم هلعنا - أنها شقراء زرقاء
العينين.. وأنها مريضة.. ربما هي
تحتضر.. ودون أن نعرف سببًا لذلك رحنا
ننزل في الدرج، متشابكي اليدين،
مسحورين عاجزين عن الرحيل دون أن
نفهم...

وسمعناها تقول شيئًا بصوت مبحوح
جاف..

- «بل.. يز.. دون كي.. ل.. مي!»
احتجنا إلى بعض الوقت كي نفهم أنها
تتكلم الإنجليزية.. وأنها تقول لنا ألا نقتلها

من فضلنا.. لا بأس.. إنها مذعورة مثلنا..
هذا يجعلنا أدنى إلى التفاهم...

ولكن ما سرها؟ من وضعها هاهنا؟ هل
هي مخطوفة؟

دنوت منها.. وركعت جوارها أكثر لأفهم
وأسمع..

ومن عينيها فهمت أنها تدنو من الجنون
أو جنت فعلاً.. مددت يدي كي أربّت على
ذراعها مترفقاً.. لكن (سلمى) صاحت في
حزم:

- «(سالم)! لا تفعل!»

التفت لها غير فاهم.. فقالت بنفس الحزم:

- «ابتعد عنها! قف هنا بجواري..»

تراجعت.. ووقفت حيث طلبت.. إن
(سلمى) أحكم مني وأسرع تفكيراً.. ربما

لفارق السن بيننا.. لهذا عرفت أن لديها
سببًا مقنعًا..

قالت وهي تشير لأسفل:

- «هل ترى؟ يوجد خراج ضخمة في خن
فخذها..»

كان الغطاء منحسرًا عن رجل المرأة..
واستطعت أن أرى ما تقول (سلمى).. يبدو
لي هذا المشهد مألوفًا.. ولكن أين؟ أين؟
فأوضحت لي الأمر:

- «خراج في خن الفخذ.. وحمى..
وفئران لا وجود لها.. بالتأكيد ماتت كلها..
إن خبرتي الطبية معدومة لكن كل هذا
يشير إلى.. الطاعون¹!»

هبطت على الكلمة كصاعقة كهربائية..
فتراجعت للوراء..

كانت المرأة تحاول جاهدة الوصول لنا
للتمسك بقدمي.. لهذا واصلت التراجع في
ذعر.. فلنغادر هذا القبو حالاً يا (سلمى)..
ووثبنا على درجات السلم درجتين في
الوثبة.. حتى وصلنا إلى الباب..
وهذه المرة غادرنا القبو وأوصدناه
وراءنا..
ثم وقفنا على الجانب الآخر نستجمع
أنفاسنا..



- «طاعون؟ ما معنى هذا؟»
قلت لها وأنا أنفض ثيابي من براغيث
وهمية ملأتها:

- «واضح أنّ هذه الأرض تعاني وباء الطاعون.. وهذا يعني أن الإغراء شديد كي نضغط على مجموعة أخرى من الأزرار..»

- «لحظة.. كيف تضمن أننا لم نلتقط العدوى بعد؟»

- «ب.. بهذه السرعة؟»

- «طبعًا.. برغوث واحد يثب من ثيابها إلى ثيابنا.. وهذا معناه أن ننقل العدوى إلى كوكب آخر بريء!»

كدت أصاب بجلطة دماغية من الغيظ..
وصحت فيها:

- «يا سلام! ونبقى هنا بانتظار مزيد من البراغيث؟ فلننفض ثيابنا ونفر من هنا فرارنا من الأسد..»

- «اصبر يا (سالم).. لا بد من أن نفهم
أولاً..»

وللمرة الأولى رفعنا عيوننا نتأمل المكان
الذي نحن فيه..



كان البيت متواضعًا.. متواضعًا وضيقًا
كجحر فأر...

لكن أسلوب التأثيث.. والتقويم المعلق
على الحائط.. وصورة مُطرب (الروك)
الملصقة على الباب..

كل هذا كان يشي بأننا لسنا في بيت
مصري ولا عربي.. نحن في بلد ما
أجنبي..

وبالتأكيد كانت المصادفة هي ما جعلنا
نتجسد في قبو مماثل للقبو الذي بدأنا
رحلتنا منه.. ولكن أين نحن حقاً؟

- «فريز! دون موف!»

واستدردنا في ذعر نحو مصدر الصوت..
كانت هناك فوهة بندقية عتيقة مصوبة
إلينا.. والبندقية تحملها عجوز شمطاء لم
يبق جزء في وجهها إلا وداست عليه
دبابات الزمن.. وتأكد ظني أننا في بلد
ناطق بالإنجليزية.. (إنجلترا) أو (أمريكا)
أو (أستراليا) أو.....

بدأ الجزء اللغوي في عقلي يعمل.. وبدأت
أسترجع اللغة الإنجليزية التي لم أستعملها
منذ دراستي الجامعية.. حتى لكأنني أرى
ترجمة (أنيس عبيد) على صدر العجوز

التي توجه البندقية لنا عازمة على تفجير
رأسينا..

- «من أنتما؟»

- «نحن.. نحن صديقان.. لقد جننا
بطريق الخطأ..»

ضيق العجوز عيين لا تريان.. ودنت
منا أكثر.. ثم غمغت:

- «لا يبدو لي أنكما منهم.. ما هذه
الملاحم المتشابهة؟ هل أنتما توءمان؟
توءمان أجنيان! ماذا أتي بكما إلى
(أمريكا)؟ من أين؟»

كانت الإجابة هي - بالترتيب. نعم.. لا
ندري.. (مصر)..

وعند هذا الجزء كانت قد دنت منا أكثر
من اللازم.. وتخلت عن حذرها.. لهذا لم

أر ما يؤذي في أن أنتزع ماسورة البندقية
من يدها بقوة، وأضع ساقي في طريقها في
أثناء اندفاعها.. لتسقط على الأرض ككومة
العظام وقد فقدت سلاحها..

هرعت (سلمى) لتعينها على النهوض..
وهي تعاتبني:

- «حرام يا (سالم)! ألا ترى أنها خائفة لا
أكثر؟»

- «لو ضغطت على الزناد.. فلن يهمني
ما إذا كانت خائفة أم لا وهي تقتلني.. إن
الحالة النفسية القابلي لا تعزيني كثيرًا كما
تعلمين.. ثم من أدراك أنّ هذه المرأة غير
مصابة بالطاعون؟»

لكنّها ساعدت المرأة المرتجفة على
النهوض.. فأجلستها على أريكة متداعية..

بينما اتجهت أنا لأعلق البندقية على مسمار
صدى يبرز من الحائط.. وعدت لأجلس
شاعرًا بأن البراغيث تملأ ثيابي..

متهانفة تساءلت العجوز:

- «إذن لم تجيئًا لقتلها؟»

- «قتل من؟»

- «(كارول - آن).. إن أوامر (أوجوتاي)

صارمة..»

- «أه.. فهمت!»

لقد اتضح كل شيء: إن (أوجوتاي)
الصارم قد أمر بقتل (كارول - آن).. هذا

سهل.. ولكن من (أوجوتاي)؟ ولماذا يريد
قتل (كارول - آن)؟

- «هل (كارول - آن) هي الموجودة

بالقبو؟»

- «نعم.. هي ابنتي الوحيدة..»

- «وهل رآها الأطباء؟»

تقلص وجه العجوز.. وجحظت عيناها
لتثير الرعب في نفسينا.. وقالت:
- «طبعًا لا.. لو أنهم عرفوا أنه الطاعون
فلن..»

ثم ازدادت حيرة.. وفي ذهول سألتنا:
- «ألا تعرفان كل هذا؟ قانون (بيدرا)..
كل مرضى الطاعون يُحرقون أحياء مع
المنزل الذي وجدوا فيه..»
قالت لها (سلمى) في صبر بانجليزيتها
العرجاء:

- «لنقل إننا سائحان حديثًا المجيء
هاهنا.. هل لهذا تخبئونها في القبو؟»

- «طبعًا.. فالنار هي العلاج الوحيد الذي يعرفه الأطباء للطاعون..»

فكرت (سلمى) قليلًا.. وراحت تبлл شفرتها السفلى بطرف لسانها ثم سألت المرأة:

- «أين نحن بالضبط؟»

- «ومن أنتما بالضبط؟»

قالتها بسؤال مماثل وهي تنقل بيننا عيين جاهزتين للأسوأ..

قلت لها وأنا أتحاشي عينيها:

- «هذه قصة طويلة ولن تصدقي منها حرفًا على أي حال.. فلنبدأ بالإجابة على سؤالنا نحن.. ما هو هذا المكان؟»

- «أنتما في (نيويورك)..»

تبادلت النظرات مع (سلمى).. لقد ابتعدنا كثيرًا عن (مصر) إذن.. ولم نجرؤ على

سؤالها عن أي زمن هذا حتى لا تظن
المرأة بنا الظنون..

لكن التقويم المعلق على الحائط كان يشير
إلى ديسمبر ١٩٩٢..

هنا قالت (سلمى) وهي تتخلل بأناملها
خصلات شعرها:

- «هل تتوقعين مقدم رجال هذا الـ.. الـ
(أوجوتاي) هنا؟»

- «عرباتهم تذرع الحيّ منذ الصباح..
وأنا هنا جاهزة للأسوأ..»

ولم أدرك كم أن المثل القائل (اللي يخاف
من العفريت يطلع له) صادق، إلا حين
سمعت طرقات عنيفة على الباب.. طرقات
بوليسية.. طرقات قوة غاشمة تعرف أن

من حقها أن تتواجد حيثما تريد.. متى تريد...

هبت المرأة واقفة.. ونظرت إلينا.. وصاحت:

- «إنهم قد جاءوا!»

- «من هم؟»

- «الشرطة طبعًا.. كنت أعرف أنّ هذا

سيحدث.. والآن.....»

- «افتحي الباب!»

دوى الصوت خارج الباب بنبرة غليظة لا تدلّ على اللطف..

- «هل تحملان بطاقات عبودية؟»

بطاقات عبودية؟ يا له من اسم! بالطبع لا نحمل.. ولا نريد أن نتشرف بحمل بطاقات لها هذا الاسم الرهيب..

الطرقات تزدداد عنفًا.. واضح أنهم
سيهشمون الباب سريعًا..
هتفت المرأة وهي تتجه إلى البندقية
المعلقة:

- «لو لم تكن معكما بطاقات، فعليكما
بالهرب.. إنهم يعدمون في الحال كل من لا
يملكها.. هاك! النافذة الخلفيّة.. ستقودكما
إلى الزقاق.. هيا!»
- «افتحي الباب!»

جذبت (سلمى) من معصمها نحو مخرج
الهرب.. لكني لم أنس أن أنتزع البندقية من
يد العجوز.. وقلت لها في رفق:
- «هذا سيجعل النتائج وخيمة بالنسبة
لك!»

باحتراج هتفت، وهي تتشبث بالماسورة:

- «وخيمة أو غير وخيمة.. لن أدعهم
يحرقون ابنتي وأنا حية..»

كان الوقت أضيق من أن يضيع في
الجدال.. (دبشك) البنادق ينهال على خشب
الباب، الذي يدهشني أنه أمتن مما ظننت..
قالت (سلمى) بالعربية:

- «دعها يا (سالم).. إنها معركتها وعليها
أن تخوضها..»
أما نحن فلنهرب..

وحين ساعدت (سلمى) على وضع قدميها
على إطار النافذة، سمعت خشب الباب
يتهشم...

لهذا وضعت قدمي بدوري ووثبت..
كانت النافذة في الطابق الأرضي، لهذا
سقطنا سقطة هينة وسط علب الطعام

الفارغة وأكياس القمامة.. والقطط التي
تبحث عن فئران لن تجدها..
رائحة الزقاق عفنة جدًّا.. والأرض
مغطاة بطبقة من مياه المجاري..
ومن داخل الدار سمعنا المرأة تصرخ:
- «لا.. لا أحد يقتلها.. لا أحد..»

ثم طلقة رصاص واحدة خرقاء.. تلاها
سيل من الطلقات، من بنادق آلية كأنه يحفر
نفقًا في أعصابنا.. وشممنا رائحة البارود
الطازج..

بعد ثوان شممنا رائحة الدخان.. ورائحة
الخشب المحترق.. لقد بدءوا حرق البيت
بمن فيه كما قالت المرأة لنا منذ دقائق..
شعرت بتقلص في معدتي.. لكنّ هذا لم
يمنعني من أن أهمس لـ (سلمى):

- «لقد رأينا ما يكفي.. والآن اختاري
كوكبًا آخر أرجوك..»



٢ - أرض المغول..

خرجنا من الزقاق لنجتاز عدة شوارع
متقاطعة بلا عابر سبيل..

وكان منظرنا لا يُوصف في أرقى لغة إلا
بأنه مثير للريب.. فتاة مبعثرة الشعر،
ورجل أنفه يدمي وحافي القدمين.. والأدهى
أنهما متشابهان تمامًا..

بالطبع لم تقبل (سلمى) أن تترك الكوكب
لعدة أسباب:

١ - ربما كنا نحمل الطاعون معنا الآن..
وهذا يعني تلويث عالم آخر بريء..

٢ - أين روح المغامرة لدي؟ لماذا لا
ننتظر بعض الوقت لنعرف المزيد؟ لو



لكنى لم أنس أن أنزع البندقية من يد العجوز ...

اتبعنا هذا الأسلوب فإننا سننهي كل
احتمالات الجهاز (ناقل الجزيئات)، دون
أن نقضي في أي كوكب أكثر من ربع
ساعة...

٣ - إن الهرب متاح دومًا حين تسوء
الأمر أكثر من اللازم..

٤ - لا معنى لدخول عالم آخر بذات
المظهر المشوش.. على الأقل يجب أن
نبدو في مظهر أكثر احترامًا..

كانت حججها مقنعة فيما عدا الحجة
الأولى طبعًا..

وهكذا واصلنا رحلتنا دونما سبب سوى
انتظار أن تسوء الأمور..



كان الطقس باردًا.. باردًا إلى حد أن
أفكاري تجمدت قبل قدمي الحافيتين.. ولم
تكن الثياب التي علينا مناسبة لهذا الصقيع..
نبتاع ثيابًا أثقل؟ لا يمكن.. لأننا لا نحمل
دولارات ولا نحمل مالا في الأساس.. يبدو
أنها ورطة لا خلاص منها...

وعند الناصية سمعنا من يأمرنا بالتوقف..
لهجة انجليزية رديئة لكنها كافية
لتفزعنا...

واستدرنا ببطء لنرى رجلاً قصير القامة
يرتدي ثيابًا حمراء.. واضح أنه زي
رسمي ما.. وعلى رأسه خوذة سوداء..
وفي يده بندقية آلية من النوع الذي يُحمل
بيد واحدة كالمسدس..

أما عن ملامح وجهه فتستأهل وقفة.. إن
عينيه ضيقتان مشقوقتان شقاً جانبياً..
ووجهه مزيج من الصفرة والسمر..
وشاربه طويل مفتول ينساب على جانبي
فمه.. والوجه - ككل - يعكس شراسة لا
تسر النفوس...

الحق أنه يبدو كالمغول لو أنّ المغول
لديهم رجال شرطة..
ورأيناه يشير لنا كي ندنو منه..
دنونا ونحن نجر قدمينا.. بينما هو يرمقنا
بثبات من عينيه الناريتين..
- «بطاقات العبودية.. بسرعة!»



إنهم يعدمون في الحال كل من لا يملكها..
هاك! النافذة الخلفيّة..



مددت يدي إلى جيبي بحثًا عن بطاقتي
الشخصية لعلها تصلح هنا.. وهنا توتر
الرجل وبلهجة منذرة هتف:
- «بيطء!»

أخيرًا تنهدت معلنا عن استسلامي..
ورسمت ابتسامة رياضية مرحة على
وجهي وقلت (إنني أعرف كيف أجتاز هذه
المشاكل بدبلوماسية):

- «الواقع أننا نسيناها في البيت يا زميل..
ولكن.. لو أنك سمحت لنا أن..»

- «قفا أمام الجدار!»

- «إن السفارة المصرية قد تفسر الأمر

لو....»

- «أمام الجدار!»

وتراجعنا ببطء.. ولحسن الحظ لم يخطر

ببالنا أن الرجل سيقوم بإعدامنا.. فالأمور

لا تجرى بهذه البساطة أبدًا.. لهذا تراجعنا

كما طلب.. وألصقنا ظهرينا بالحائط.. لكني

لم أحب كثيرًا الطريقة التي عالج بها شيئًا

في مؤخرة بندقيته ثم رفعها نحونا..

- «(سالم).. ماذا سيفعل بالضبط؟»

- «لا تقلقي.. إنه سيقتادنا إلى المخفر

طبعًا..»

وبوجه صلب كالرخام هتف الشرطي:

- «بناء على تعليمات (أوجوتاي - خان)
وقانون (بيدرا) رقم ١٧ - هـ؛ سيتم
إعدامكما في الحال استنادًا للتفويض
الممنوح لي!»

- «إنّه يمزح.. لا تظهرى ذعرًا حتى لا
تنعشي قلبه!»

- «أنا غير مذعورة.. فما زلت لا
أفهم..»

بوم!

طلقة واحدة مختصرة جدًا.. كل هذا
المدفع من أجل طلقة تافهة كهذه؟ لكننا
رأينا الشرطي يترنح ثم يسقط على وجهه..
وبين لوحى كتفه رأينا ثقبًا أحمر ينز دماء..
وعرفنا أن أحدهم أطلق عليه الرصاص
من الخلف..

كانا رجلين. برزا لنا من وراء صندوق
قمامة كبير.. أحدهما أبيض أشقر الشعر قد
عقص شعره على هيئة ذيل حصان.. أمّا
الآخر فزنجي قد ضفر خصلات شعره
المجعد في ملايين الضفائر الصغيرة، كما
يفعل في عالمي المطرب (بول مارلى)، أو
الحسناء (بود بريك).. هل تفهم ما أعنيه؟
وكانا يرتديان سويترين جلديين فوق
كنزات ثقيلة.. وفي يدي كل منهما قفازان..
هذا هو ما استطعت رؤيته في الثانية
الأولى..

في الثانية الثانية رأيتهما يهرعان إلى جثة
الشرطي.. ويحركات منظمة لا تردد فيها
ولا ارتجال، رأيت الأشقر ينزع عن

الرجل ثيابه.. والزنجي ينزع البندقية وهو
يتلفت حوله في حذر.. ثم.....
- «هلمّ يا رجل! هناك من سمع هذه
الطلقة حتمًا!»

وهرعنا كالأرانب المذعورة إلى زقاق..
فزقاق أضيق.. ثم إن الزنجي تلفت حوله
في حذر.. وركع على ركبته ليرفع الغطاء
عن فتحة مجرور.. ودعانا كي نهبط فيه
بسرعة.. لكنني بلا حذاء!

هبط الأشقر أولاً وعلى كتفه ثياب
الشرطي.. ثم (سلمى).. فأنا.. فالزنجي
الذي تأكد من غلق الفتحة..

ونزلنا بعض درجات محفورة في
الجدار.. ثم تقدمنا - ومياه المجاري تصل
لسيقاننا - في ممرات مظلمة، لا ننتبين

طريقنا إلا في ضوء مشعل صغير يحمله
الزنجي.. ولم تكن هناك فئران لحسن
الحظ.. كالعادة..

وأخيرا كان هناك شيء صخري مرتفع
يشبه المنصة إلى حدٍ ما، أمكننا أن نتسلقه
كي نجلس فوقه، بعيدين عن المياه المتعفنة
من تحتنا..

أخرج الأشقر شمعة من ثيابه.. وأشعل
فتيلها.. ثم ثبتها في الصخر بقطرات ذائبة
منها.. وعندها فقط عدنا إلى التنفس...
والغيظ يلتهم في عينيه الصفراوين هتف
الزنجي بلهجة فظة:

- «أنتما أغبي حمارين يمكن العثور
عليهما! لا أدري كيف يعيش الحمقى إلى

هذه السن برغم كون الاحتمالات كلها
ضدهم..»

صعد الدم بدوره إلى رأسي.. وقلت:
- «سيدي... إذا كنت قد أنقذتنا فأنا لك
شاكر.. لكن هذا لا يعني أن تهيننا دون
سبب.. وإلا يُمكنك إعادتنا إلى الزقاق
 وإعادة الشرطي إلى الحياة.. وانس
الموضوع تمامًا..»

قال الأشقر باسمًا وهو يحاول تخفيف
الجو:

- «لا عليكم.. إن (تومي) لا يجيد انتقاء
عباراته.. لكنه طيب القلب كجدة عجوز..
أنتما من (الخاسرين).. أليس كذلك؟»
تبادلت و(سلمى) نظرة.. هل من الحمق
أن أنكر أنني من (الخاسرين) وأخبرهما

بالحقيقة؟ لا حيلة أمامي.. من يدري؟ لربما طالباني بإبراز بطاقة الخاسرين ليتأكدوا من شخصيتي..

- «نعم.. لسنا منهم.. نحن مصريان..

و...»

- «مصريان؟»

قالها الزنجي في ذهول.. ثم واصل ثورته..

- «مصريان.. وتمشيان في (سنترال بارك) ليلاً؟ إن المغول لا يطيقون العرب، ويقتلونهم قبل أن يتمكن أحدهم من لفظ (الراء) في كلمة (عربي).. ألم أقل لكما إنكما أحمقان؟»

ابتلعت ريقى وكتمت عنهما أفكارى.. طاعون ومغول و(خاسرون).. ما هذا

العالم بالضبط؟

- «وكيف وصلتما إلى (نيويورك)؟»
هنا وفرّ علينا الأشقر عناء البحث عن
إجابة.. وقال:

- «بالطبع جاءا مع (أبو فراس).. إن
الجرثومة لا تستطيع العبور من الحدود كما
تعلم... من حسن حظكما أننا كنا هناك
بالمصادفة، ورأينا المغولي على وشك
إعدامكما.. يجب ألا تظهرنا في الطرقات
قبل أن نستخرج لكم بطاقات عبودية
مزورة.. أي تصرف غير هذا هو
انتحار..»

قالت (سلمى) وهي تتنقى كلماتها بعسر:
- «لقد قتلوا عجوزاً وابنتها.. لأن الأخيرة
مصابة بالطاعون..»

قال الزنجي في تهكم:

- «مرحبًا بكما في (نيويورك).. هذا
المشهد يتكرر عشرين أو ثلاثين مرة كل
يوم.. وهي طريقة فعالة حقًا لأن الوباء بدأ
ينحسر..»

- «ألا يوجد نوع من الأمصال أو
المضادات الحيوية أو....؟»

- «هذه الأشياء للأولاد الأثرياء فقط.. إن
موت خمسين أو ستين ألفًا من الرعاع لن
يضايق المغول في شيء.. وهكذا يجدون
للطاعون فائدة مزدوجة: القضاء على
الفئران.. القضاء على الرعاع الذين تشبه
حياتهم الفئران..»

- «وأنتم؟ كيف تحمون أنفسكم؟»

- «إن (أبو فراس) قد استطاع تهريب
مائة جرعة من مصل (هافكين).. وقد
أجريت قرعة لمعرفة من سينجون منا.. أمّا
الباقون فهم يكتفون بمقاومة البراغيث
وتنظيف ثيابهم جيدًا..»

- «إن (أبو فراس) وكل رجال منظمة
(فتح).. يمكن الاعتماد عليهم..»

تبادلت و(سلمى) نظرة عابرة.. هو ذا
الخلط المؤلف بين العوالم يحدث ثانية..
ففي هذا العالم تكافح منظمة (فتح)
والأمريكيون من أجل القضاء على
المغول.. من الواضح أن هذين الرجلين
يمثلان نوعًا من الثوار.. من المتمردين
على سلطة القاهرة شمولية يمثلها المغول...

بالنسبة لـ (سلمى) كذلك بدا الأمر غريبًا
وإن كان الأسباب مختلفة.. ففي عالمها لا
توجد قوة قاهرة سوى العرب أو ما تسميه
(أ.ع.م) ..

قال الأشقر وهو يجمع ثياب الشرطي
ويدسها في كيس:

- «والآن نأخذكما إلى مقر الخاسرين..
هناك أشياء كثيرة يجب ترتيبها قبل أن
تجازفا بالظهور في الشوارع..»
ودعانا إلى أن نتبعه..



٣ - أسئلة.. أسئلة..

لن أحكي هنا عن شبكة الممرات شديدة التعقيد التي رحنا نمشي خلالها وسط المجاري... إن هؤلاء القوم يحفظون المجاري كما تحفظ أنت خطوط كفاك.. ومن الواضح أنهم لا يغادرونها إلا لماماً.. ليقتلوا شرطياً أو يفجروا عربة شرطة.. أو يكتبوا بعض عبارات السباب ضد المغول على جدار، مستعملين علبة (سبراى) وقطعة من خشب (الأركت) المفرغة.. ثم يعودون إلى المجاري من جديد...

أما عن مقرهم الرئيسي في (نيويورك) فيقع تحت (سنترال بارك).. ويشبه كهفاً



قال الأشقر وهو يجمع ثياب الشرطى ويدسها فى كيس !
- « والآن نأخذ كما إلى مقر الخاسرين .. »

عملاقاً دعمت جدرانها بألواح الخشب..
وتتدلى المصابيح الواهنة من سطحه..

ويوجد عدد هائل من حقائب النوم على
الأرض.. يتناثر عليها رجال منهكون،
منهم من ينظف سلاحه، أو يقوم بربط
الأسلاك في عبوة ناسفة، أو يكتفي بعضهم
بالنوم.. وثمة مدفأة كهربائية تحاول جاهدة
أن تجعل المكان رطباً..

وكانت هناك أربع أو خمس فتيات لا بأس
بجمالهن، لكنّ وجوههن اكتست بطبقة
مريعة من الصرامة والجديّة.. ربما
التوحش.. وهن يعملن كما يعمل الرجال
ويتحملن ما يتحملون.. ويبصقن كما
يبصقون...

بالإضافة لهذا توجد بعض المنشورات
ملصقة على الجدار، وورشة خراطة
لتصنيع أسلحة بدائية، وبعض صناديق
الديناميت التي لم تبذل أية محاولة لتفادي
شرها كأنها تحوي بعض البسكويت..

قال الأشقر الذي عرفنا أن اسمه
(كالاهان)، بعد ما التقط لنا صورة:

- «سيتم إعداد بطاقتي عبودية لكما.. لكنّ
هذا يحتاج إلى بعض الوقت..»

ومن فراشه الأرضي نهض عملاق
زنجي أصلع.. كأنه ديناصور يفيق من
سبات طويل.. كان عارى الجذع يكشف
عن أضخم مجموعة من العضلات اللامعة
بالعرق رأيتها في حياتي.

تقدم نحونا وهو يزمر من منخرية
الواسعين، حتى ظننت أنّ هذا مشهد من
فيلم (كينج كونج).. ثم قال بصوت لا يقل
رقة عن مظهره:

- «من هذان يا (كالا هان)؟»

- «إنهما مصريان يا (ماك - جورج)..»

- «ومن قال إنهما ليسا جاسوسين

لعينين؟»

- «إن شرطياً مغولياً كان على وشك

إعدامهما منذ ساعتين...»

تأملنا في شك بعض الوقت، حتى كدت

أصرخ وأعترف.. أعترف بأي شيء؟!!

لست واثقاً في الحقيقة..

ثم إنه غمغم من بين أسنانه:

- «حسن.. لكنّ كن حذرًا.. ولو رأيت ما يريب قل لي فحسب!»

وعاد يكوم جسده الضخم على الحشية..
عاد (كالاهان) يطلب منا أن نستريح
بعض الوقت، إلى أن يفرغوا من تزوير
البطاقتين لنا.. وجلب لنا بعض الشطائر،
وعلب مياه غازية اسمها (منغوليا) وطعمها
ليس أفضل من اسمها!

- «الآن حان الوقت..»

قلتها لـ (سلمى) همسًا، وكانت تفهم تمامًا
ما أريد قوله.. حان الوقت للهرب من هذا
العالم.. فقد رأينا ما يكفي... إن بدء
المغامرة في عالم يصطرع فيه المغول مع
الثوار، ويُقتل العرب قبل لفظ حرف

(الراء)؛ لهو دليل كاف على نهايتها..
وكانت موافقة تمامًا هذه المرة..

جلست على حشية، وأخرجت (ناقل
الجزئیات).. بينما أمسكت يدها اليسرى في
حرص.. لا أريد أن أتركها ترحل لأعيش
أنا هاهنا مدى الحياة..

ها هي ذي تضغط عشوائيًا.. (٢٠٠ - د
-.....)

في اللحظة التالية وجدت نفسي في ركن
القاعة، وثلاث فوهات مدافع مدفونة في
عنقي.. و(سلمى) تقف في الركن الآخر
تقول شيئًا ما.. بينما العملاق الزنجي
يتفحص الجهاز في ريبة..

- «قلت لكم إنها جاسوسان... لكنكم
تظاهرتن بالعبقرية..»

قالت فتاة شقراء، صوتها كصوت رجل
مصاب بسرطان الحنجرة:

- «ربما هما انتحاريان.. يحاولان تفجير
شحنة من الديناميت..»

- «أو هو جهاز إرسال يبلغ مكاننا
للشرطة..»

مرّة أخرى يتكرر هذا الموقف السخيف..
قلت محاولاً أن أجد مسافة تتحرك فيها
حنجرتي:

- «لا هذا ولا ذاك.. هذه آلة حاسبة لا
أكثر ولا أقل..»

تفحصها العملاق بضع دقائق.. وداعب
بعض الأزرار فيها ليتأمل الحروف على
شاشتها..



من القائل: لو أنك أعطيت قرّدا آلة كتابة،
وتركته يعبث مليون سنة.. لربما وجدت أنه
قد كتب قصيدة لـ (شكسبير)؟



لحسن الحظ لم يحدث هذا.. لم يكن قرّدا
ولم يُمنح مليون سنة يجرب فيها.. فقط
جرب الأضرار مرّتين.. ثم هزّ رأسه:
- «إنها أقرب إلى فكرة إلكترونية.. على
كل حال سأبقيها معي!»
هتفت الفتاة وهي تسلك أسنانها بطرف
خنجر..

- «وماذا لو كانت جهازاً لاقتفاء الأثر؟»
- «لا يوجد جهاز اقتفاء أثر مزود بمفاتيح
رقمية.. وكذلك القنابل..»

ثم دسّ الجهاز في حزامه.. وعاد يرمقنا
في شك.. فحولنا عينينا عنه..

نحن محبوسان هنا إلى أن يقرر إعطاءنا
الجهاز، أو أتحول أنا إلى (أرنولد
شوارزنجر) أو - على الأقل - (الشحات
مبروك).. كي أثب لأوجه له لكمتين يفقد
وعيه بعدهما.. وانتزع الجهاز من حزامه.
بدأ الجمع يتفرق.. وبدأ أنهم نسوا أمرنا
مؤقتاً..

فعدت و(سلمى) إلى افتراش الحشية، وفي
رأسينا من الخواطر السوداء ما لا داعي
لذكره..

- «لم يكن هذا خطئي..»
قالتها ردًا على اللوم الذي وجهته لها في
سرّي..

كانت هناك بعض الكتب متراسة على
رف من المعدن الذي لا يصداً.. وكانت
على بعد ذراعين مني، فمددت يدي
ومررت إصبعي على الهوامش: دائرة
المعارف البريطانية - تاريخ العالم -
أساليب حرب العصابات...

انتزعت كتاب (تاريخ العالم) من
موضعه، ورحت أقلب في صفحاته النظيفة
ناصعة البياض (فلا أحداً يقرأ هنا على
الأرجح)..



(سيف الدين قطز).. (الظاهر بيبرس)..
موقعة (عين جالوت)..
لا شيء.. هووور! هذا غريب..



تدني (سلمى) رأسها الصغير من رأسي،
وتصغي لترجمتي لما هو مدون بالإنجليزية
في مجلد (تاريخ العالم):
الأبطال

في عام واحد بتقويمنا العظيم، وعام
١١٦٢ ميلادية بتقويم النصارى، ولد
مرشدنا وقائدنا العظيم (تيموجين خان)

الذي سمي بعد ذلك باسم (جنكيز خان) أى
سيد الحكام²..

كان الخان العظيم يؤمن بالدم، ويؤمن بأن
رجولة الرجال لا تنضج إلا على وهج
النيران ونصال السيوف..

وفي الثالثة عشرة من عمره استطاع أن
يقود جيوشنا، ويوحد قبائلنا التي أنهكتها
الصراعات والحروب الأهلية..

انظر أيها العالم! انظري أيتها الشعوب
السقيمة.. أيها اليهود والنصارى
والمسلمون... هي ذي قوات الخان التي لا
تهاب الموت، سنايك خيولها تنهب الوديان
والفلوات.. وصرخات محاربيها الأشداء
تصم آذان الشعوب التي أوهنها السلام...

ها نحن أولاء نتّجه إلى (الصين).. لقد
سمانا الصينيون باسم (شعب الخنازير)..
وبنوا لنا سور الصين العظيم حاسبين أنهم
بهذا يردون أمواج غزواتنا..

لكن الخان العظيم استطاع أن يقتحم
السور، ويحتل (الصين)، وينال بلاد
(الترك) بكل بكواتها وسلطينها
المتخمين.. وينال (روسيا)...

وتوفي الخان في عام ٦٥ من تاريخنا
و١٢٢٧ بتقويم النصارى.. وتلاه ابنه
(أوجوتاي خان) الذي واصل فتوح أبيه
العظمى، بجنده الذين يقاتلون كالأبالسة،
ويلتهمون اللحم النيء، ولا يستحمون أبدًا
لأنهم طاهرون..

ثم جاء (باتوخان) ليواصل الفتوح..
ودانت لنا (بولندا) و(ألمانيا)...

ثم انطلق (هولاكو) العظيم ليظفر ببلاد
العرب كلها.. ويحتل (أوروبا) التي لم ترَ
الهول منذ عهد (أتيلا) ملك الهون³..

في القرون التالية، استطاع جندنا العظام
أن يفتحوا أكثر (إفريقيا) و(آسيا).. وتمكّن
فاتحنا العظيم (أميرجى خان) من عبور
الأطلنطي فوجد هناك شعبًا من الهنود
الحمراء.. واستطاع أن يحتل بلادهم، ويرسل
لها جيشًا من المغول وألوفًا من عبيدنا
البيض الأوروبيين.. وصار اسمها
(أمريكا) تيمناً بحروف اسمه...

لقد تفرغ رجالنا العظام للحرب.. بينما
تفرغ عبيدنا الأصفر والحمراء والسود

والبيض للزراعة والاختراع من أجل منفعة
أمة المغول العظيمة..

وكذا تمكّن عبد إيطالي من اختراع
اللاسلكي.. وعبد أمريكي من اختراع
الكهرباء.. وعبد ألماني من اكتشاف القنبلة
الذرية.. وعبد فرنسي من اختراع آلة
العرض السينمائية التي ترى الناس
أمجادنا.. وغزا العبيد الروس الفضاء، لكننا
ظللنا هاهنا ننتظر حتى يلقوا هناك شعوبًا
تستحق أن نغزوها ونعمل فيها الذبح
والتقتيل...

المجد للمغول! فهم الأقوى والأشجع
والأذكى..

ومنذ عهود فرساننا العظام الذين تركوا
الشمس وراء ظهورهم، وراحوا بجيادهم

ينهبون الأرض نهبًا، تاركين وراءهم خطًا
من الدخان الأسود والذهب..

حتى فرساننا العظام الذين ألقوا قنابلهم
النووية فوق (موسكو) من طائراتهم الـ
(خان - ١٩).. نجد أن روح المغول لم
تتغير.. وما زالوا بنفوس متوثبة يقاتلون
في كل مكان.. ويشربون لبن الفرس
المختمر في جماجم أعدائهم بعد كل نصر..
فإن لم يجدوا حروبًا على الأرض،
أرسلوا المكوكات الفضائية تبحث في
الفضاء البعيد عن دماء يسفكونها..

المجد للمغول! والويل كل الويل لمن
يجرؤ على مقاومة إرادتهم السامية، التي
هي إرادة الكون ذاته...



أنهيت قراءة هذا الجزء من الكتاب..
ووجدت أنه يحوي - عدا ذلك - آلاف
الأسماء للحروب التي تنتهي كلها بـ (حرق
القرى وذبح الرجال ودفن الأطفال وبقر
بطون الحوامل).. تاريخ طويل يبدأ من
القرن الثاني عشر وحتى القرن العشرين..
وآلاف (الخانات) العظام الذين لا يكفون
عن حرق أعدائهم أحياء..

والمثير هنا أن الكتاب كان دراسيًا.. وكان
موجهًا لتلاميذ الصف الرابع الأولي..
أتمنى أن أرى وجه الصبي الذي سيفرغ
من قراءة كتاب كهذا.. لا بد أنه سيقضي

بقية حياته في مستشفى الأمراض العقلية،
مصائبًا بالعتة الذهولي..
تبادلت و(سلمى) نظرة واضحة المعنى..
لقد اخترنا أسوأ عالم ممكن.. كما هو
ظاهر لكل ذي عينين..



سألتني همسًا:
- «ماذا تستنتج من كل هذا؟»
قلت لها وأنا أتأكد من أن أحدًا لا يراقبنا:
- «الأمر واضح.. هذا العالم يحكمه
المغول بالعن حكم عسكري ممكن.. ومن
الواضح - كذلك - أن الثورات لم تنجح

ضدهم.. بدليل أنهم يتمتعون بسيطرة كاملة
بعد ثمانية قرون..»

- «لكنّ كل أقطار العالم تحتفظ بأسمائها
التي نعرفها..»

- «حقًا.. لكنّها ليست بلدانًا مستقلة.. إنها
أقرب إلى الولايات أو المحافظات التي
يسيطر عليها حاكم واحد.. لست واثقًا مما
إذا كان (أوجوتاي) هذا حاكم (العالم) أم
حاكم (الولايات المتحدة).. لكنه مرعب بما
يكفي على كل حال..»

عادت تسألني كأنني حكيم الأزمان:

- «وما سر الاختلاف الذي جعلهم
يسيطرون على الأرض؟»
ابتسمت.. فلم أتصور أنها لم تلاحظ..

- «لأنّهُ لا يوجد (قطز) في هذا العالم..
ألم تفهمني بعد؟»



٤ - فلنذب وسط الزحام..

- «لا أفهم..»

قلت لها في صبر:

- «الأمر واضح.. لقد كان (سيف الدين

قطز) ثالث ملوك دولة المماليك

البحرية..»

- «بحرية؟»

- «يسمونها هكذا.. ولا أعرف السبب⁴..

وحين هاجم التتار بقيادة (كتبغا) غزة،

تعاون مع مملوكي آخر هو (بيبرس

البندقداري) لمحاربتهم... لقد تمكّن (قطز)

من مطاردة التتار حتى نهر العاصي.. ثم

تمت الموقعة الشهيرة المسماة (عين جالوت) ما بين (بيسان) و(نابلس).. حين صاح صيحته الشهيرة (وإسلاماه!).. وانتصر على جحافلهم المروعة... لقد خلد (على أحمد باكثير) هذه المعركة في روايته (وإسلاماه).. هل عندكم مثله؟»
- «لا.. فشان التتار لم يكن ذا بال في عالمي..»

- «حسن.. يرى كثيرون من المؤرخين أن (عين جالوت) هي نقطة التحول في تاريخ التتار.. ودون غرور أو مبالغة يمكن القول إن (قطز) قد استطاع أن ينقذ العالم إلى حدٍ ما..»

قطبت وجهها غير مصدقة.. وغمغت:
- «إلى هذه الدرجة؟!»

- «كما أنّ معركة (واترلو) قد أنهت
أمجاد وحش يُدعى (بونابرت)،
(ستالينجراد) قد حطمت أحلام مخبول
يُدعى (هتلر).. ولو لم تكن (ستالينجراد)
لكان النازيون يحكمون عالمي الآن..»

هنا - وكان الحديث قد استغرقنا - دنا منا
الفتى الأشقر ذو الضفيرة، الذي عرفنا أن
اسمه (كالاهان)، فجلس القرفصاء
جوارنا... وابتسم.. ثم ناولنا بطاقتين
مغلقتين رهيبتني الشكل.. وقال:

- «مرحبًا بكما في (نيويورك)..»
أمسكت البطاقة الأولى.. وكانت عليها
صورتي أبتسم ببلاهة.. والبيانات تقول
إنني (لوتشيو أماريللو)... عامل بناء..
مكسيكي..

أما بطاقة (سلمى) فتقول إنها (ماريا أماريللو).. خادمة.. مكسيكية..

أولاً: لم اخترت لنا الجنسيّة المكسيكية؟
- «لأنّها تسمح بأن تكون أسمر البشرة ذا ملامح عربية.. لقد رأيت فرنسيين يبدوون كاليابانيين.. وأمريكيين يبدوون كالأفارقة.. فلن يجد المغول شيئاً مريباً في ملامح وجهيكما..»

ثانياً: لماذا اخترت لنا مهناً يدوية بائسة؟
لم لا أكون طبيباً وهي رسامة؟
- «لأن هذا هو نوع المهن التي يمكن لمهاجر مكسيكي أن يجيدها.. كنت سأختار لك مهنة عامل مجاري.. ولها مهنة راقصة.. لكنكما لا تبدوان لي من أهل ذلك!»

وأضاف في تفلسف:

- «وعلى كل حال.. لا توجد مهنة يدوية

بائسة.. أنت تعمل إذن أنت محترم..»

تاليًا: ما سر تشابه اسمينا؟ هل تعني أننا

زوج وزوجة؟

- «لا.. إن تشابه وجهيكما مريب.. لذا

أؤثر أن تكونا توءمين غير متمثلين..

فالأزواج قلما يتشابهون على هذا النحو إلا

بعد ثلاثين عامًا من الحياة الهانئة.. ولا

توجد حياة هانئة في هذه الأرض..»

لقد أقنعتنا يا أخ (كالا هان)...

بعد هذا مد يده لنا بحفنة من الدولارات

غريبة المظهر.. كلها تحمل وجه

(جنكيزخان) بدلًا من (جورج

واشنجتون).. مع شعار (دماء.. دماء) بدلاً
من شعار (بالله نؤمن) الشهير..

- «دولارات مغولية.. مزورة بالطبع..
لكنّ اكتشافها شبه مستحيل..»

وناولنا كيسين يحوي كل منهما مجموعة
من الثياب.. وحذاءين لحسن الحظ وطلب
منا أن ننتحي جانباً لنرتديها..

سألته وأنا أحمل ثيابي وأنهض:

- «لكننا لا نعرف حرفاً من الأسبانية..»

- «كذلك المغول.. فلو ضبطك أحدهم

اكتف بترديد أية كلمات تنتهي بحرف

(الواو) أو (الياء).. ولا تنس أن تضع يديك

على صدرك وتلوح بهما طيلة الوقت..

ومن آن لآخر قل (سنيوري).. فهذا

كاف..»

ثم هتف بلغة أسبانية مزيفة يمكنها خداع
الحمقى جميعًا:

- «سنيوري داسفيدا ماتريو سوكيري
ماريا!»

- «ما معنى هذا؟»

- «لا معنى له.. لكنه جيد كما ترى..»

- «وما هو برنامج حياتنا بعد ترك هذا
المكان؟»

ابتسم.. وقال وهو ييصق ويداري البصقة
بحذائه:

- «لا شيء.. عليكما البقاء حين أطول
وقت ممكن!»



بطاقة عبودية

اسم العبد: لوتشيو أماريللو كاريداس.

السن: ٣٠ سنة.

المهنة: عامل بناء.

الولاية: المكسيك.

تاريخ القدوم إلى نيويورك: بيلاس -

٨٢٦ (أكتوبر ١٩٩٣)

عيوب: إسهال - غازات بطن - قدم

مسطحة.

شخصيته: خنوع - جبان - متردد - أحمق

- إمعة.

صحت في احتجاج بعد ما قرأت بطاقتي

بعناية:



بعد هذا مدّ يده لنا بحفنة من الدولارات غريبة المظهر .
كلها تحمل وجه (چنكيز خان) ..

- «كل هذه السلبيات؟ ولماذا لم تضيفها في
خانة العيوب؟»

قال (كالاهان) وهو يرتب سترتي كي
تبدو أكثر اهمالاً:

- «بل هي مزايالك.. الخنوع الجبان
الأحمق هو العبد المفضل عند المغول.. أمّا
عن عيوبك فهم لا يريدون سوى الجسدية
منها.. وعلى كل حال بطاقة عبوديتي أنا
تقول إنني: خنزير - دنيء - نذل -
معتوه..»

صافحته في حرارة.. وحييت الباقيين..
وإن لم أستطع كثيرًا أن أحب (ماك -
جورج) الذي يضع في جيبه أثمن ما
أملك..

- «شكرًا يا (كالاهان).. فلولاك....»

- «لا عليك.. إنها تعليمات (أبو فراس)
الصارمة... علينا العناية بالعرب بالذات،
وتوفير سبل الراحة والتنكر لهم..»
ورحنا نعبر شبكة المجاري المعقدة..
همست (سلمي) في أذني:
- «والجهاز؟»

- «وماذا عن جهازنا يا (كالا هان)؟»
قال وهو يتحسس مواضع خطواته،
مستعيناً بمشعل صغير:

- «سيبقى مع (ماك - جورج) لفترة حتى
يعرف كنهه.. وعلى كل حال لا تقلقا.. فهو
في أمان...»

ثم توقف وأشار بالمشعل إلى أعلى.. كان
النور يدخل من طاقة معدنية في سقف
المكان..

- «ستصعدان من هنا إلى شارع جانبي..
تأكدا من غلق الفتحة ثم عيشا حياتكما..
يوجد فندق رخيص على بعد خطوات.. كما
أنّ هناك مكتب توظيف على الناصية..
والآن وداعًا..»

وراح ينتظرنا حتى تسلقنا الدرجات
المعدنية، التي توصلنا إلى غطاء
المجرور.. أزاحتها بيدي.. ورفعت جسدي
حتى خرجت من الفتحة، ثم مددت يدي
أعين (سلمى) على الخروج، وسرعان ما
ابتلعتنا المدينة المنهكة العجوز...



كان الجليد ينهمر في رقة.. وبدأ الشارع
يتخذ لوناً أبيض حزيناً كأحلام ملاك، وقد
بدأت أشجار عيد الميلاد تتناثر في
الطرق.. وأمام أبواب المحلات.. وبعض
دُمي حزينة لـ (سانتا كلوز) - بابا (نويل)
كما نُسمّيه - تقف على استحياء وراء
واجهات المتاجر.. ومرت جوارنا عربة
تشبه عربات المطافئ بسرعة جنونية..

على ظهرها وقف رجال ذوو ملامح
مغولية، يرتدون معاطف جلدية حمراء،
وقد ثبت كل منهم خزاناً على ظهره..
خزاناً يشبه قاذفات اللهب التي نراها في
السينما..

كانت ملامحهم صارمة تشي بالشر.. لابل
تشي بما هو أقسى وأبرد من الشر..

وعرفت أنّ هذه فرقة إبادة مرضى
الطاعون، ذاهبة لحرق بيت آخر في
الناحية.. أتمنى لهم التوفيق!

فما إن ابتعدت السيارة حتى همست
(سلمى) وهي تتأبط ذراعي، ويدها ترتجف
في عصبية حول ساعدي:

- «لقد صرت أكثر اقتناعًا بمغادرة هذا
العالم.. نحن لن نترك جهازنا مع هؤلاء
المتمردين لمجرد أنهم أقوى وأكثر عددًا..
كان يجب أن تصر على استرداد
الجهاز..»

- «الإصرار كان سيجعلهم يرتابون
أكثر.. ويصممون على فتحه لمعرفة ما
به...»

- «ولكن كيف نسترده؟»

- «سنعود لهم بعد يوم قائلين إننا بحاجة إليه.. وسيكونون هم قد تأكدوا من أنه ليس قنبلة أو جهاز تصنت..»

بدا عليها عدم الاقتناع.. لكنّ ما كان بوسعها أن تجد حلًا آخر..

لافتات في كل مكان عليها صورة واحدة لوجه مغولي شرس يحاول أن يرسم ضحكة مشرقة على ثغره، وتحتها تعليقات من نوع (تذكر أن أوجوتاي في كل مكان) و(أوجوتاي صديقك حين تخضع له.. وعدوك حين تعصاه).. و(لا نريد مزيدًا من دمائكم.. فساعدونا)..

وفي كل ناصية يقف رجل شرطة مغولي بثيابه الحمراء المميزة، يرمق المارة في

شك ويده على مدفعه الرشاش الشبيه
بالمسدس...

واستوقفنا واحد.. وطلب منا بطاقات
العبودية.. فناولتها إياه وقلبي يخفق
كالطبل... تفحصها وتفحصنا.. ثم تفحصها
فتفحصها.. ثم عاد يتفحصنا ويتفحصها.. ثم
سمح لنا بالانصراف وقد بدت عليه خيبة
الأمل.

على الأقل البطاقات تؤدي عملها كما
يجب...

قرحتى بدأت تصحو وآلام لا تطاق
تمزقني، لا بد أن قرحة (سلمى) تفعل نفس
الشيء.. إنه التوتر الدائم والجو البوليسي
المرهق للأعصاب..

صوت طلقات رصاص من الشارع
المجاور...

ثم سمعنا صراخًا.. ورأينا اثنين من
المغول يجران جثة مزقتها الرصاص، ليلقيا
بها في عرض الطريق فوق الثلج.. ثم
يعودان إلى جولتهما..

وتجمع المارة حول الجثة.. المفزع ها هنا
هو أن الأمر بدا روتينيًا لا يثير الذعر في
نفس أحد سوانا.. إن هذا يحدث كل يوم كما
هو واضح...

وسمعنا الناس يقولون عبارات عديدة:

- «مسكين!»

- «يبدو أنه ياباني أو صيني..»

- «الأحمق لم يحمل بطاقة عبودية..»

- «لقد أعدمناه فورًا..»

ابتعدنا ونحن نقاوم رغبة عارمة في
الركض كالأرانب.. وأقدامنا لينة ترتجف
كأعواد المكرونة المسلوقة..

ومن بعيد نلمح لافتة (فندق).. فنهرع إلى
هناك..

كان متوسط النظافة لكنه ليس حظيرة
أبقار على كل حال.. وكان موظف
الاستقبال يضع عوينات سيمكة ويقف تحت
صورة هائلة الحجم للزميل (أوجوتاي)..
رحب بنا.. ثم تفحص بطاقتينا.. ومد أنامله
يضغط على أزرار جهاز (كمبيوتر) على
المنضدة.. وقطب جبينه إذ نظر إلى
الشاشة..

سألته (سلمى) في قلق وهي تمد رأسها
محاولة معرفة ما هنالك:

- «هل ثمة مشكلة ما؟»

- «كلا يا سيدتي... إنه إجراء روتيني حسب قانون (بيدرا).. يجب إخطار الشرطة بكل صاحب جنسيّة أجنبيّة يطلب مسكنًا..»

وابتسم ابتسامة مفتعلة..

فشكرناه.. واقتادنا خادم آسيوي إلى غرفتنا بالطابق الثالث.. وهي غرفة لا بأس بها.. نظيفة نوعًا، خالية من البراغيث..

اتجهت (سلمى) إلى النافذة، فأزاحت ستائرهما جانبًا، ووقفت ترمق الشارع.. على حين نقدت الخادم بعض قطع العملة.. وأحسنّت غلق الباب.. ثم عدت لأجدها ما زالت هناك عند النافذة.

قالت دون أن تلتفت:

- «(سالم).. سيبلغون رجال الشرطة
عنا!»

هزرت رأسي في حيرة:
- «طبعًا يا ملاكي.. هو قال هذا.. إنه
قانون (بيدرا)..»

- «لا أعني بلاغا روتينيًا.. بل سيبلغ
الشرطة أننا مثيران للشك.. ولن تلبث
عرباتهم أن تصل إلى هنا خلال ثلاث
دقائق..»

- «وما الذي يدعوك إلى افتراض
الأسوأ؟»

- «كانت نظراته مريبة.. وفي زجاج
عويناته رأيت انعكاس شاشة الكمبيوتر..
لقد كان عليها رسمان لا بأس بهما
لوجهينا...!»



هـ - فلنذب وسط الزحام.. (من جديد)

كان علينا التفكير السريع، واتخاذ قرار
خلال دقيقة..

سألتها وأنا أثب على قدمي:

- «ص... صورتنا؟ وكيف حصلوا
عليها؟»

- «ربما لم تكن صورتنا.. ربما هي
صورة رجل وامرأة آخرين.. لكنّ المؤكد
أنهم يبحثون عنهما جاهدين، وقد عمموا
الصورة في كل مكان كي يبلغ أحدهم عن
صاحبها..»

- «ولكن من؟»

قالت وهي تذرع الغرفة جيئة وذهابًا:

- «من يدري؟ ربما لم يمت الشرطي.. أو كان هناك شهود، استطاعوا أن يحددوا ملامحنا بالاستعانة برسامي الشرطة.. وربما كان هناك خونة بين المتمردين وقد أبلغوا عنا..»

قلت لها:

- «استبعد الاحتمال الأخير.. وإلا لكانت صورتنا الفوتوغرافية عند الشرطة.. بلا أي داع للاستعانة بصورة مرسومة.. والآن.. هل نهرب؟»

- «طبعًا..»

صورة الجثة التي مزقتها الرصاص على قارعة الطريق لا تفارق ذهني...

يوجد حل واحد للفرار.. هو أن نفر
بسرعة.. بسرعة تفوق كل توقعات هؤلاء
القوم.. فلا أحد يفر من فندق دخله منذ
خمس دقائق..

وقد خطرت الفكرة لنا في ذات اللحظة..
فانطلقنا لا نلوي على شيء..
ثم وثبنا درجات السلم ثلاثًا ثلاثًا..
وكالرصاصة انطلقنا أمام عيني الموظف
الذي كان يتكلم في الهاتف فلم يجد وقتًا
كافيًا ليرانا..

واصطدمنا بثلاثة رجال يذفون من
الباب.. فلم يجدوا وقتًا للاحتجاج..
وتعثرت امرأة داست (سلمى) على
حذائها..

وبعد ثانيتين كنا في الشارع المزدهم من جديد..

فلو أن المغول يملكون شيئاً من الخيال،
لبحثوا عن سحابتين من البخار الأبيض
تخرجان من رئاتنا.. ونحن نلهث
كقاطرة....

وأشارت (سلمى) في ثقة إلى المشهد الذي
توقعه..

سيارة شرطة حمراء اللون تتوقف أمام
مدخل الفندق.. ليخرج منها ستة رجال من
المغول يحملون أسلحة تكفي لاحتلال
(موسكو) لو أرادوا.. وهم يركضون
كالذئاب المسعورة إلى الداخل..

ابتعدنا أكثر فأكثر نادمين على أننا لا
نملك طاقة الإخفاء..

معنى هذا أن الطرقات غير آمنة بالمرة..
وبطاقات العبودية لن تحمينا إن لم تؤذنا..
فكل شرطة (نيويورك) تعرف اسمينا
المستعارين الآن..

الحل الوحيد هو أن نرجع إلى
(الخاسرين)، ونخبرهم أننا في مأزق..
وأننا سنموت ما لم يعيدوا لنا الجهاز..
ولكن.. أي مجرور بالضبط يقود لهم؟
قالت (سلمى) وهي تنظر إلى الوراء:
- «كان هناك شارع جانبي يقود إلى
الشارع الذي فيه الفندق.. وعلى ناصيته
متجر (بيتزا) صغير.. والشارع نفسه شبه
مهجور..»

- «هذا جميل.. وماذا عن شبكة المجاري
المرعبة؟»

- «أعتقد أنني عددت المنحنيات.. ثم إننا
سنصرخ منادين (كالا هان)»
لا بد أن آذان هؤلاء القوم مرهفة..
لكن الوقت غير مناسب بالطبع..
لا بد من الانتظار حتى يجن الليل من
جديد...



إن دور السينما مناسبة دائماً للاختباء..
كانت خطانا قد قادتنا إلى حي مليء
بالملاهي والمسارح ودور السينما.. وأنا لم
أر (نيويورك) من قبل.. لكنني أعرف أن
حيًا بهذه الصفات لا يمكن سوى أن يكون
حي (برودواي)..

الأضواء الملونة الزاهية تتوهج في كل مكان.. والموسيقا تتسرب في الهواء كعطر قوي..

وكانت هناك عدة دور سينما تعرض أفلامًا أمريكية، ميزت بعضها.. لكنني وجدت دارين تعرضان أفلامًا لها أسماء منغولية.. وكتبت اسمائها بحروفهم الشبيهة بديدان تتلوى..

- «ما رأيك؟»

- «أخشى أن تكون هذه الدار للمغول فقط..»

لكنني وجدت أسرارًا عادية تدخل.. أمريكيون يتأبطون أذرع فتياتهم ويدخلون.. لم لا؟ تعالي نر نوع الفن الذي يقدمه هؤلاء الرعاية..

واتجهت إلى شبّاك التذاكر، وطلبت من
العاملة الشقراء أن تعطيني تذكرتين..
وأخرجت ورقة بعشرة دولارات.. لكنّها
بدت مندهشة..

وببرود قالت وقد أدركت أنني أجنبي:
- «لا نقود.. الأفلام المغولية مجانية!»
ولما رأت البلاهة على وجهي، قالت في
سأم:

- «إنّه الغزو الإعلامي يا صغيري!»
وتقدمت مع (سلمى) إلى الداخل لنمر
وسط حشد من موظفي السينما يقفون على
الصفين.. إذن ما أهميّة التذاكر؟ ما دام
الدخول متاحًا لكل من هب ودب؟ لكنهم
تفحصوا تذكرتينا مرارًا...

وفي النهاية جلسنا في القاعة المظلمة
المكيفة - مكيفة بالتدفئة طبعًا - وكان عدد
الجلوس قليلًا... يبدو أن الأفلام المغولية
غير محبوبة لهذا الحد..

همست (سلمى) وهي تنظر حولها:

- «لهذا التذاكر مجانية..»

قلت لها هامسًا:

- «لا أحد يرغب في مشاهدة فيلم صنعه
قاهر وه.. فالدكتاتورية لا تجيد صنع
الأفلام.. وقد حدث أن صنع الروس فيلمًا
عظيمًا اسمه (المدرعة بوتمكين) المخرج
اسمه (إيزنشتاين).. وظل (هتلر) طوال
الحرب العالمية الثانية يصرخ في مخرجية
ووزير دعايته، كي يصنعوا له فيلمًا مماثلًا
له هذا التأثير في النفوس.. لكنهم عجزوا

عن ذلك.. لأن الدكتاتورية - كما قلت لك -
لا تجيد خلق الفنون..»

وانطلق شعاع الضوء يرتمي على الشاشة
الفضية.. وهنا رأينا صورة لوجهين: وجه
رجل ووجه امرأة... تم رسمهما باللون
الأسود.. وقد كتب تحتها:

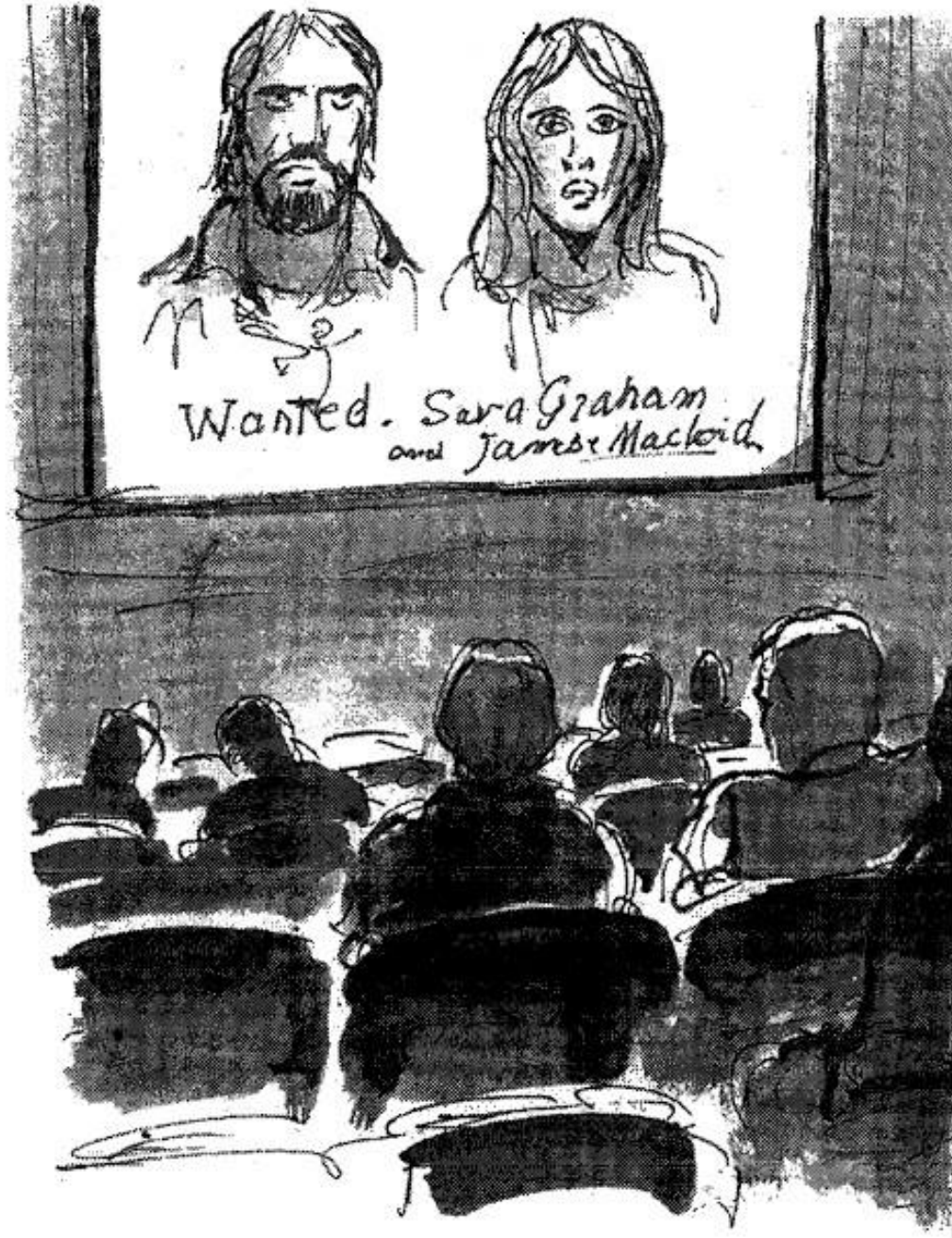
- «مطلوب القبض على (ساره جراهام)
و(جيمس ماكلويد) - التهمة هي السخرية
من النظام - اطلب رقم الهاتف 990.. كل
من يتستر عليهما يعاقب بالإعدام الفوري
وغرامة مائة ألف دولار!»

ثم اختفت الصورة وبدأ عرض الفيلم..

ملت على (سلمى).. وسألتها همسًا:
- «هل هذان هما الوجهان اللذان رأيتهما
على الشاشة؟»
- «أظن هذا.. إذن لم يكن البحث جاريًا
عنا!»

وتنهدت في ارتياح.. لقد تم تعميم صورة
هذين البائسين في كل مكان.. وعلى كل
شاشات (الكمبيوتر) والتلفزيون والسينما..
ومن الواضح أنهم سيجدونهما.. حتمًا
سيفعلون..
سألتها:..

- «هل نخاطر بالعودة إلى الفندق هذا
المساء؟»



وهنا رأينا صورة لوجهين : وجه رجل ووجه امرأة ..

- «لا.. سنخاطر بالعودة إلى المجاري
باحثين عن جهازنا..»

ثم همست وهي ترتجف:

- «لو لم نكن نحن اليوم على هذه
الشاشة.. فسنكون هناك غدًا!»

هنا دوى صوت من مكبر صوت يقول
بحزم:

- «العبد والعبدة الجالسان في المقعدين
رقم (٥٤) و(٥٥)! ممنوع الكلام نهائيًا في
أثناء عرض الفيلم الثقيفي!»

تبادلنا النظرات في هلع.. إذن هم
يسمعوننا! هل فهموا ما نقول؟ لا أظن..
مستحيل أن يستعدوا بترجم للعربية تحسبًا
لدخول أحدنا دار السينما..

ولكن.. ربما عرفوا أننا نتحدث العربيّة!
من السهل أن تعرف الإسبانية والعربيّة
والألمانية والعبرية والفرنسية حين
تسمعها، حتى ولو لم تفهم منها حرفاً
واحداً.. فهل يعرفون الآن أننا عربيان؟



حاولت التركيز في أحداث الفيلم..
كان مترجماً إلى الإنجليزية لحسن حظي
أو سوءه.. فقد كان أسوأ فيلم رأيته في
حياتي باستثناء بعض أفلام مخرجنا الأستاذ
(...).

الفيلم يدور حول أسرة أمريكية متدينة
طيبة.. لكن لها ابناً وغداً شريراً زنيماً..

هذا الوغد يدخن المخدرات ويلهو مع
الفتيات.. ثم يحرق سيارة شرطة مغولية..
الأب العجوز الطيب ينصح الفتى مرارًا
بأن يتعقل ويهتدي إلى الصواب.. لكنّ
الفتى الفاسد يتمادى في غيه.. وينتهي
الأمر بأن تهاجم الشرطة المغولية البيت..
هنا يتمهل الفيلم ليرينا عملية سلخ جلد
الأب العجوز حيًّا.. وحرق الأم.. وتمزيق
أوصال الأخت.. حتى توشك الدماء أن
تسيل من على الشاشة لتغرقنا نحن
المشاهدين...

ثم يقول قائد المغول الفتى الأرعن: «هذا
هو ماجنيته على أهلك.. إن طاعة المغول -
يا أحمق - هي من طاعة الرب..»

ثم يلقي الفتى عقابًا لا داعي لوصفه حتى
لا أرهق أعصاب القارئ.. وينتهي الفيلم
بالمغول يعاملون المواطنين المسالمين في
تهذيب ورقة..

هنا سمعت (سلمى) تتحشرج استعدادًا
للقيء.. إن معدتها لم تتحمل كل هذا الدم
الذي ابتلعتة على الشاشة..

- «لا تفعلي يا (سلمى)! تماسكى يا
حمقاء!»

لكنّها لم تستطع.. وأفرغت معدتها محدثة
ضوضاء لا بأس بها..

هنا دوي الصوت من المكبر يقول:
- «العبدة في المقعد (٥٥)! هل هناك ما
لم يرق لك في الفيلم؟»
يا للكارثة!

- وقفت صائحاَ أخاطب لا أحد:
- «إنها.. إنها التهمت طعاماَ فاسداَ في مطعم.. هذا كل شيء..»
- قاتها بالإنجليزية طبعاً..
- هنا دوي الصوت من جديد:
- «نريد اسم المطعم! فصاحبه يجب أن يُجلد!»
- يا للمصيبة! انهم لا يتركون أية تفاصيل..
- عدت أصيح:
- «نسيت اسمه إنه في (بروكلين).. لا توجد مشكلة»
- «إن صحة العبيد لمن صميم أمن النظام.. حاول أن تتذكر!»
- «حقاً لا أستطيع.. كانت عربية مقانق عابرة!»

ساد الصمت برهة.. ثم قال الصوت:
- «حسن.. اجلس يا عبد.. سنبدأ الأسئلة
حالا!»

أُسئلة؟ ما هو الموضوع؟ ماذا يريدون؟
- «المقعد رقم (١١٨).. ما اسم الصبي
الرقيع في الفيلم؟!»

هنا نهض كهل وقور الشكل من المقعد
(١١٨).. وفي تردد قال:

- «اسمه (جيمي)؟»
- «الإجابة خطأ! ستتلقى عشر جلدات
حالا!»

وتقدم شرطي يرتدي زياً أحمر، ويحمل
سوطاً، كي يقتاد الكهل إلى باب خلفي..
وسمعنا صوت الصراخ وصوت ضربات
السوط!

همست في أذن (سلمى) مذهولاً:

- «يا نهار أسود!»

هنا دوى الصوت:

- «المقعد رقم (٢٠).. من هو مخرج

الفيلم؟ ومن مصوره؟»

نهضت شابة حسناء من مقعدها.. وبثقة

صاحت:

- «المخرج هو المغولي العظيم (كيشنجا)

والمصور هو المغولي العبقرى

(نيسابو)..»

- «أحسنتم! واستطعت الفوز بحقنة من

لقاح الطاعون!»

هالت الفتاة في حماس.. وهرعت إلى

الباب الخلفى..

فهمت! هذا هو المبرر الوحيد الذي يغري
الناس بدخول السينما:

أملهم في جرعة من لقاح الطاعون
تحميهم من الموت.. ولو خسروا فلن يكون
الأمر أسوأ من بعض جلدات..

وهم - المغول - يرغبون في التأكد من أن
الناس رأوا الفيلم كاملاً.. فلم يشردوا ولم
يثثروا في أثناء العرض... لهذا يعقدون
هذا الامتحان بعد العرض للتأكد من أن
الرسالة (التثقيفية) قد بلغت الناس كاملة..

المشكلة هي أنني ظللت شارداً ذهن طيلة
عرض الفيلم.. فلم أر سوى خطته العامة..
هنا دوي الصوت من جديد:

- «المقعد (٥٤)!»

ارتجفت ساقاي... واستعدت الشعور
القديم الذي تركته ورائي في المدرسة
الابتدائية، حين كنت أسمع اسمي يناديني به
معلم الحساب!

ورفعت رأسي لأسمع الصوت يسألني:
- «ما هو رقم سيارة الشرطة التي أحرقتها
الصبي الرقيق في الفيلم؟!».

بدا مذهري كأكثر التلاميذ فشلاً وغباء..
وأنا أبحث في ذهني عن معلومة أعرف أنه
لا وجود لها أصلاً..

هنا سمعت صوتاً هامساً يفح من خلفي
(وكان رقيقاً ناعماً):

- «(١١٧ - ب) يا أحمق!»

ودون أن أنظر خلفي، التقطت الكرة
وصحت:

- «(۱۱۷ - ب) ! رقمها كان (۱۱۷) -
ب) !»
هنا حدث شيء غريب....



٦ - هل هو الأمل؟

في هذه المرّة لم يكن هناك لقاح ولا جلد...

لقد تقدم رجل الشرطة الأحمر إياه عبر الصالة، حتى وصل لموضعي ثم انحنى ليرمقني في حدة.. وأخرج فكرة صغيرة.. وبإنجليزية بشعة سألني:
- «أين بطاقة عبوديتك؟»

مددت يداً مرتجفة وقدمتها له.. لا بد أن الأمر يتعلق بالذبح هذه المرّة.. ورأيته يدون ما فيها في مفكرته.. ثم أعادها لي وعاد يسأل:

- «أين تقيم الآن؟»

- «فندق (العبيد السعداء).. غرفة

٢١٨..»

أعاد المفكرة إلى جيبه وقال:

- «سنتصل بك!»

وانصرف تاركًا إياي في حيرة لا
تصدق.. و (سلمى) مثلي..

ودوي صوت صفارة عميقة، فنهض
المشاهدون.. إذن لا بد أن الامتحان قد
انتهى.. نهضت مع (سلمى) وأنا أقسم في
سرّي ألا أدخل دور السينما بعد اليوم حتى
لو لم تكن مغولية..

وشمنا هواء الشارع البارد.. وداست
أقدامنا على الثلج فشعرنا براحة غامرة..
دست كفي في جيب سترتي، بينما

أحكمت (سلمى) لف كوفيتها على عنقها..
وسألتني:

- «ما معنى هذا؟»

- «لا أدري..»

هنا سمعت من يقول بالعربية بصوت
خافت:

- «معناه أنك تصلح لتكون بصاصًا لهم!»

التفت في دهشة.. لأرى رجلًا في
منتصف العمر له شعر فاحم السواد
وشارب كث ناعم.. يرتدي معطفًا رماديًا،
ويمسك بيده يد صبي في العاشرة من
عمره.. ويشبهه إلى حدٍ ما..

وعندها عرفت سر اللهجة التي لفظ بها
الرجل عبارته... فمظهره يوحي بأنه من

الشام.. أو ربما أبعد.. ربما هو تركي يتكلم
العربيّة...

تظاهرت بالغباء.. ونظرت له في عدم
فهم.. لكنه قال:

- «لا تحاول التمثيل.. أعرف أنك
عربي.. ربما مصري كذلك.. ولا تخش
مني فأنا مثلك أحمل بطاقة تقول إنني
هندي..»

ومد يده ليصافحني.. كان قويًا موحياً
بالثقة..
قال باسمًا:

- «أنا تركي أدعى (قاسم).. وهذا هو
ابني (سيف) وكنت قد دخلت معه السينما
أملًا في الفوز بجرعة من لقاح الطاعون
له.. هلمّ صافح عمك يا بني..»

مد لي الصبي الجميل ذو العينين الذكيتين
يده مصافحاً.. وابتسم برقّة..
قال الرجل:

- «والآن.. هيا نجد مكاناً هادئاً نتكلم فيه..
فليس من المستحب أن نقف ها هنا نتكلم
بالعربية.. وإلا كان من الأفضل لو علقنا
لافتة تعلن جنسيتنا»

ومشينا نحن الأربعة حتى وجدنا متنزهاً
شبه خال من الناس..

كانت هناك أشجار يكسوها الجليد..
ومقاعد متناثرة.. فاخترنا أحدها وجلسنا..
وأشار الرجل للصبي كي يبتعد ليلهو
قليلاً.. ثم قال وهو يخرج لفافة تبغ من
علبته ويشعلها، بينما الليل يغلف المكان:

- «إن (سيف) هو منقذك الخفي الذي
تكلم في ظلام السينما.. إنه جم الذكاء ذو
ذاكرة فوتوغرافية. ولا أعتقد أن أحداً كان
يستطيع تذكر رقم السيارة سواه..»
سألته وأنا أنحني للأمام كي لا أترك كلمة
تفلت منه:

- «لماذا أخذوا بطاقتي؟ وما معنى
كلامك؟»
ابتسم بثقة.. وقال:

- «لقد انبهروا بقوة ملاحظتك.. ووجدوا
أنك تصلح جاسوساً لهم وهو شرف - لو
تعلمون - كبير.. سيتيح لك هذا مزايا مدنية
أكثر:

راتب مرتفع - حصة تموينية أعلى - لقاح
الطاعون والدرن.. إلخ.. ولن يكون عليك

سوى إبلاغهم بكل ما يريب..»

- «مثل!»

- «مثل رجل شرطة يضع حذاءين

مدنيين.. مثل رجل يزعم أنه هندي - على

غرابي - ويلتهم شطيرة من اللحم

البقري.. مثل ياباني لا ينحني عندما

يحيك.. مثل انتفاخ وراء سترة مدني

يوحي بوجود سلاح..»

- «وإذا رفضت؟»

- «لا ترفض ولا تقبل.. أنت حر.. كل ما

يمكنك زعمه هو أنك لم ترَ ما يريب..

المشكلة الوحيدة هنا هي أنهم سيبحثون

عنا!»

- «يبحثون عني!»

- «طبعًا..»

ونفت دخان التبغ في الهواء.. وأضاف:
- «سيبحث (أوجوتاي) في ذاكرته
الإلكترونية عن أي معلومات تشير إلى
دخولك البلاد فلن يجد.. عندها ستدق
الطبول!»

هنا تكلمت (سلمى) للمرة الأولى:
- «(أوجاتاي) هو جهاز حاسوب؟»
- «تعنين (كمبيوتر)؟ طبعًا.. إنه الحاكم
العام للولايات.. إن الصورة التي ترينها
جوار اسمه لا تعني شيئًا.. هي مجرد
محاولة لجعله شيئًا ملموسًا للعامة.. أمّا
العالم فيسيطر عليه (كمبيوتر) عملاق
اسمه (هولاكو).. وما زلت أرى أنكما في
مأزق.. كان عليكما التصرف بحذر أكثر
ما دامت بطاقتكما مزورتين..»

ورحنا نتأمل المرج المغطى بالجليد..
وفي ذهن كل منا من الأفكار السوداء ما
يكفيه.. لم نكن في خطر حين دخلنا دار
السينما وان حسبنا ذلك.. أمّا الآن فنحن في
خطر لا شك فيه.. وقد صارت العودة إلى
الفندق مجازفة حقيقية..

وهنا تذكرت الفيلم السخيف فقلت للرجل:
- «تبّاً لها من دعاية فجّة! ما الذي يدعو
هؤلاء الوحوش لمحاولة تقديم فيلم
سينمائي؟ ظننتهم لا يبالون بالتأثير
الإعلامي..»

- «هم كذلك.. لكنّ المستعمر يحتاج دومًا
إلى هذا التأثير.. فهم - مهما بلغ عددهم -
لا يستطيعون امتلاك عدد كاف لاحتلال
العالم والسيطرة عليه.. لا بد من إرهاب

الناس وغسل عقولهم.. والسينما والتلفزيون
يقدمان هذه الخدمة بشكلٍ جيّد.. والمشكلة
هي أنهم محاربون وليسوا فنانيين!»
عدت أسأله:

- «وماذا جاء بك إلى هنا؟»
- «هربًا مما هو أسوأ.. إنهم يقومون
بحملة إبادة شرسة في غرب وجنوب
آسيا.. جنّت إلى هنا حيث لا يتوقعون أن
يروا عربًا أو مسلمين.. وقد ساعدني (أبو
فراس) على التسلل..»
سألته (سلمى) وهي تطوق عنق الصبي
بذراعيها:

- «ما سر تعصبهم المجنون ضدّ
المسلمين والعرب عامّة؟»

تنهد.. وألقى ببقايا لفافة التبغ بعيدًا..
وقال:

- «لقد قام الكمبيوتر العملاق (هولاكو)
بحسابات معقدة، وإجراءات (سيبرنية) لا
يمكن وضعها.. في النهاية افترض أن
الخطر الذي يهدد إمبراطورية المغول
سيكون خطرًا إسلاميًا.. وربما عربيًا..

النتيجة: صار على المغول أن يتأكدوا من
إفناء كل ما هو إسلامي أو عربي..
والعرب المسيحيون يلقون معاملة لا تقل
سوءًا على كل حال.. فهم عرب قبل كل
شيء...»

تبادلت و(سلمى) نظرة فهم...
لم يكن الكمبيوتر مخطئًا على الإطلاق..
ومن الواضح أن مصممه عبقرى..

- «هل المغول هم من صمموه؟»
- «بالطبع لا.. فهم لا يجيدون سوى
حرق المدن.. لقد صنعه اليابانيون لهم
تحت تهديد السلاح.. واليوم يوجد
الكمبيوتر (هولاكو) في عاصمة المغول
في (سيبيريا) فوق قمم الثلوج.. ومن هناك
يرى ويسمع ويعرف كل ما يجري في
العالم..»

كان الصبي قد ابتعد كثيرًا.. فصاح
الرجل يهيب به أن يعود إلينا.. لكنّ الطفل
كان يلهو فوق الجليد.. يلهو بحركات أقرب
إلى رياضة (الكونج - فو).. وقد أبدى
رشاقة وخفة غير مألوفتين..

قلت للتركي:

- «صبي جميل ذكي..»

في فخر غمغم:

- «بل ويجيد استخدام (الكمبيوتر)..
ويجيد أكثر الرياضات.. إنني لأتساءل عما
سيكونه بعد عشرين عامًا.. من يدري؟
ربما لن يعيش لهذا الحد!»

طقطقت بلساني.. وأصدرت (سلمى) آهة
استنكار.. وقالت:

- «أعوذ بالله! لم هذا التشاؤم؟»
قال وقد اكتسى وجهه بقناع من الجهامة:
- «في عالم كهذا يغدو كل شيء ممكنًا..
لقد رأيت مصرع أمّه بعيني..»
- «أسفة...»

- «لو مات - وهو وحيد - لكانت نهاية
أسرة (قطز) كلها!»
(قطز)؟!!

وتبادلت و(سلمى) نظرات الذهول...



٧ - الغارة..

ارتجفت.. لكني حاولت التماسك وسألته:
- «هل (سيف).. هو (سيف الدين)؟»
ابتسم ساخرًا وقال:
- «طبعًا.. أنتم العرب أدرى بذلك..»
- «أي أن اسمه هو (سيف الدين قطز)؟»
- «طبعًا.. لكن اسمه في بطاقة العبودية
هو (رام سادجاهي).. من (بومباي)..
هندوسي الديانة..»
ثم نهض معلنا رغبته في الانصراف..
وقال لنا وهو يمسك بيد الصبي، ويشير
لنا إلى الشارع القصي:

- «ستتجهان إلى هناك.. إن الظلام قد
توغل بما يكفي.. يوجد هناك متجر
للحيوانات الأليفة.. أسألا عن (جيمي)
وقولا له إنكما من طرف (قطز).. سيدبر
لكما سبيل الاختفاء...»

ولوح بيده مودعًا:

- «أراكما على خير..»

وابتعد بالصبي.. والظلام يغلفهما حتى لم
نر منهما سوى علامتي تعجب غير
متماثلتي الطول، تبتعدان في ببطء عن
عيوننا الحيرى...

همست (سلمى) وهي ترمقهما:

- «إنّه هو!»

- «حتمًا هو...»

- «إنها صفات قائد.. ذكي سريع الملاحظة رياضي الجسد..»
- «والمغول لا يعرفون...»
- «إنهم لا يستطيعون التنبؤ.. ولن يفعلوا كما فعل فرعون (مصر) حين ارتقب ظهور سيدنا (موسى)..»
- «حسن.. هذا العالم يسير في الطريق الصحيح..»
- «حقاً...»
- وننهضنا متجهين إلى متجر الحيوانات الأليفة..



بالإضافة إلى القطط والكلاب والسلاحف
- وهي أشياء معتادة جدًا - كان هناك ببر
حديث السن وسحلية (إجوانا)..
برز لنا شاب يحلق رأسه بأسلوب
(البانك) الشهير.. وقال لنا حين رأى
دهشتنا:

- «لا يثير هذا دهشة أحد منا.. فالسادة
المغول يحبون هذه الحيوانات لأنها تذكرهم
بموطنهم.. هل لي أن أقدم لكما خدمة؟»
كانت (سلمى) مشغولة في تأمل القطط
الصغيرة التي تهيم بها حبًا، بينما قلت وأنا
أتحاشى نظرات السحلية المزعجة في
قفصها الزجاجي:

- «نبحث عن (جيمي)..
- «أنا هو...»

- «جننا من طرف (قطز) ..»
- تلفت حوله في دعر حين سمع الاسم.. ثم ابتلع ريقه وصاح:
- «بحق السماء! لا داعي لإذاعة هذا في المذيع.. تعاليا!»
- وهرع إلى باب خلفي ففتحه لنا.. وكدسنا بالداخل.. ثم تلفت حوله من جديد وهرع ينضم لنا في مخزن خبيث الرائحة سائلاً:
- «ماذا هناك؟»
- «مخبأ.. إنهم يبحثون عنا..»
- «هل أنتما من (الخاسرين)؟»
- «نريد الاتصال بهم..»
- «مائتا دولار!»
- تبادلت و(سلمى) نظرات الارتباك.. كنت أظن الوغد ثورياً فاتضح أنه مجرد تاجر

في سلع ممنوعة.. ثم من أين لي بالمال؟
قال مبتسمًا:

- «لا تقلق.. فأنا أقبل الدولارات المزيفة!
مائتا دولار مزيف أو خمسون دولارا
أصيلًا..»

- «لا بأس...»

كان (الخاسرون) قد أعطونا زهاء ألف
دولار.. ولا ننوي البقاء حتى تنتفد.. فلن
أعمل عامل بناء في أرض المغول هذه
أبدًا..



نحن الآن في شقة (جيمي) الواقعة خلف
المحل..

كانت حقًا شقة ثائر متمرّد.. وشقة تاجر
سوق سوداء.. وشيقة لص.. وشقة عزب
يحرق شمعة حياته من طرفيها..

زجاجات في كل مكان.. بقايا طعام..
صناديق ملأى بسلع ممنوعة.. جوارب
مكورة في كل صوب.. أحمر شفاه..
أعقاب سجائر..

وفي ركن الصالة كان هناك أكبر جهاز
تلفزيون رأيته في حياتي.. ربما هو ٢٠٠
بوصة لو كان هناك شيء كهذا..

- «مرحبًا بكما.. الليلة تبيطان هنا.. وغداً
يراكما (الخاسرون)»..»

وك
ان
قطا
ابتا
مع
مع
ض
(البي
ترا)
بالأن
شو
جدة.
فـ



وهرع ينضم لنا فى مخزن خبيث الرائحة سائلاً :
- « ماذا هناك ؟ »

ضع

شريحة أمام كل منا ثم صب لي كأسًا من
(الهاب) إياه.. لكنني رفضت..
فتح جهاز التلفزيون ليسلينا..
وعلى الشاشة العملاقة رأينا مشهدًا
مهولًا..

كانت طائرات غربية الشكل - لا بد أنها
(خان - ١٩) - تحلق في تشكيلات متوالية
فوق مدينة لم أميزها جيدًا..
- «هذه (طهران)»..

قالها (جيمي) مفسرًا وأراح ساقية على
أريكة قرب مجلسه..

وعلى الشاشة راحت الطائرات سربًا
وراء سرب تلقى عبواتها الحارقة وقذائفها
على المدينة، التي استحالت كتلة من اللهب
والدخان الأسود..

ثم تقدمت طائرة هائلة الحجم وحدها..
لتلقي بقنبلة غريبة الشكل بدورها.. عندها
تصاعدت سحابة عش الغراب الشهيرة،
المميزة للانفجار النووي..

قال (جيمي) باستمتاع كمن يرى فيلمًا
مسلّيًا:

- «هذه قنبلة (زيترو).. لقد ألقوا عشرًا
منها على آسيا الشهر الماضي..»
هنا سألته (سلمى) سؤالًا غير معتاد
كدأبها:

- «من يلتقط هذه الصور؟»

- «الألمان طبعًا! فالمغول لا يغامرون
بإرسال مصورين مغول إلى هذا الجحيم..
لهذا لديهم فريق تصوير من العبيد
الألمان..»

سألته بدوري:

- «وماذا فعل الايرانيون؟ هل هي ثورة
يقمعها المغول؟»

نظر لي وضحك حتى سال الدمع من
عينيه:

- «ماذا بك؟ تبدو كأنك من عالم آخر..
بالطبع لم يفعل الإيرانيون شيئاً.. إنها حملة
إبادة وكفى.. مثلما تقوم أنت بتطهير
مطبخك من الصراصير لا أكثر.. إن
المغول يعتبرون كل شعب آخر نوعاً من
الحشرات لا لزوم لوجوده أصلاً..»
وعلى الشاشة ظهر الجرحى والأسرى..
وهم طبعاً من البلاد المتاخمة لـ (طهران)..
كانوا في أسوأ حال والحق يُقال...

وعلى الشاشة بدت مذيعة مغولية ربع
حسنا.. تقول بلغة إنجليزية جيدة:

- «وهكذا تمكّن فرساننا الأبطال بخيولهم
النفائث من إزالة (طهران) من على وجه
الأرض! ترى أين يكونون غدًا؟ في (إسلام
آباد)؟ في (القاهرة)؟ في (دكا)؟ لا أحد
يدري...»

وتعالت موسيقا فاخرة ربما هي افتتاحية
السيوف لـ (خاتشاتوريان)..

ثم ظهرت صورة لموكب طويل يحمل
أفراد الهدايا.. وقد بدا عليهم الانكسار
والذل.. وتعالى صوت المذيعة يقول:

- «ها هي ذي وفود الأمم تقدم هداياها
إلى قائد جيش المغول العظيم.. وكلهم
خضوع وانكسار..»

هنا دوى صوت مغنية (آبا) تغني: الفائز
يأخذ كل شيء..
إخراج جيد مؤثر لا أظن المغول قادرين
عليه..

فلا بد أنهم استعانوا بمخرج إيطالي
عبقري ليصنع لهم هذا...
سألت (سلمى) مضيفنا:
- «هل التلفزيون لا يقدم إلا هذا
السخف؟»

- «أحياناً يقدم منوعات مغولية.. أو
أفلاماً.. لكنّ هذا نادر..»
- «إذن فلننعم بالصمت..»

وأطفأ جهاز التلفزيون.. ثم دعانا إلى
النوم، وقال إن لديه أريكة تصلح فراشاً..
ولسوف يستعملها للنوم تاركاً فراشه لنا..

وفي الصباح يمكننا أن نلحق بالخاسرين
الذين سيزورون لنا بطاقتي عبودية
جديدة..

والأهم ها هنا اننا سنحاول استرداد
جهازنا من (ماك - جورج) هذا.. وعندئذٍ
يكون الفرار.. الفرار الجميل..
- «مساؤك حبيب..»

قالتها لي (سلمى) همسًا في الظلام..
وكنت قد فشلت تمامًا في تعليمها أن تقول
(مساء الخير) مثلنا.. فمن العبث أن أقول
لها أين الصواب.. فلا صواب هنالك
والأمور كلها نسبية بين العوالم.. لذا قلت:
- «مساؤك حبيب..»

ونمت بقلب مثقل..



دخلنا شبكة المجاري من جديد.. وعبر
ممرات أكثر تعقيدًا قادنا (جيمي) إلى
المكان الذي كنا فيه في البداية..

ومن جديد رأينا الثوار يفعلون ذات
الأشياء.. وما زال بعضهم نائمًا حتى
العاشرة صباحًا وقد بدا عليه إرهاق
مريع.. إنهم ليسوا كسالي بل وطاويط..
يقضون ليلتهم في عمليات التخريب
واقتناص المغول، ثم يعودون ليأكلوا وجبة
خفيفة، ويناموا حتى الظهر..

كان (كالاهان) عاكفًا على تنظيف بندقية
آلية سرقها من الشرطة، حين رأنا.. فنظر

لنا نظرة عابرة وواصل ما يقوم به، وهو
يقول:

- «المصريان؟ مرحبًا.. هل أبليتما بلاءً
حسنًا؟»

تولى (جيمي) الرد:
- «إن الشرطة تقلب الأحجار كلها بحثًا
عنهما!»

- «بهذه السرعة؟»
وهنا ظهر الغول الآدمي (مَتَاك - جورج)
وهو يصدر خوار الثيران، ويلتهم فخذ
خنزير على سبيل الإفطار.. فما إن رآنا
حتى تكدر مزاجه..

صاحت (سلمى) في كياسة:
- «مرحبًا يا سيد (مَأك - جورج).. أمَّا
وقد تأكدت من سلامة طويتنا أرجو أن

تعيد لي الجهاز..»
اتسعت عيناه فبدا صفارهما واضحًا..
وقال:

- «أي جهاز؟»
- «الجهاز الذي أخذته منا بقوة العضلات
منذ يومين..»
بصق على الأرض.. وقال وهو يقضم
شريحة أخرى:

- «آه! ذلك الجهاز القذر؟ إنه ليس معي!»
- «وأين هو؟»
- «عند (لاري هولدن) أو (الجميل) كما
نُسمّيه.. إنه يحبّ هذه الأشياء..»

- «وأين (لاري هولدن)؟»
- «إنّه لم يعد بعد.. لقد ذهب أمس لتفجير
مركز الاتصالات، ويبدو أن المغول قد

التهموه حيًّا! والآن كفى ثرثرة فأنتم
تفسدون عملية الهضم!»

تبادلت و(سلمى) نظرات ذاهلة..
كنت أعرف أن شيئًا كهذا سيحدث.. لكنّ
ما كان بوسعي منعه.. لهذا لم يعد يعنيني
أي شيء سوى التعبير عن حنقي الشديد...
صحت في غل:

- «أنت برميل مليء بالأوحوال!»

- «هه؟»

وتدلت شفته السفلى في غباء.. قطعة لحم
تساقطت من فيه وهو لا يصدّق أن أحدًا
يشتمه.. لا بد أنّ هذا لم يحدث منذ ثلاثين
عامًا..

عدت أقول وأنا أحاول تذكر الشتائم
الإنجليزية التي كنت أسمعها بكثرة في

الأفلام في عالمي:

- «أنت أحمق! كيس من القاذورات.. لا أكثر!»

هنا بدأ يفهم.. فتقدم نحوي.. وانحنى مترًا
كي يقرب رأسه من رأسي..

ثم وجدت نفسي أطيّر إلى الحائط
لأصدمه.. وأنفي لا ينزف لأن أوعيته
الدموية تهشمت مع عظامه...

وطار ستة من الرجال كي يتعلقوا بالرجل
محاولين تهدئته، مرددين عبارات على
غرار (خليك كبير) و(امسحها في)..

أما هو فراح يزمجر.. لم يكن يسب أو
يلعن.. بل يُطلق زمجرة دب ثائر..
واللعاب يتطاير من شدقيه..

ساعدتني (سلمى) على النهوض. وكان
وجهي قد تحول إلى قطعة من
(الهامبورجر) المصنوع في المنزل..
لكنني كنت مستعدًا للتمادي..

وبدأ الثور يهدأ.. لكنه ظل يصبوب إلى
نظرات نارية نويّة..

صاحت (سلمى) وهي تحاول إصلاح
شفتي الممزقة:

- «هل جننت؟ كل هذا من لكمة واحدة
وجهها لك.. وبرغم هذا تريد المزيد؟»

- «لقد استفزني الوغد.. الوغد.. وكان
عليه أن يت.. يتقي شر الحليم إذا غضب..
ضرب.. ضرب!»

لقد صار علينا أن نبقي ها هنا للأبد!

يا لحماقتك يا (سلمى)، ويا لديكتاتوريتك!
لو لم تتمسكي برأيك لكنا الآن بعيدًا في
عالم آخر ربما هو إلى الجنة أقرب..
يجب أن نجد (لاري هولدن) حالًا...



٨ - أنقذوه!

من الحمق أن أفترض أنّ هذا الحشد من الثوار لا يضم جاسوسين أو أكثر من جواسيس المغول..

الأمر سهل ويطيبي.. لكنه يبدو عسير التصديق حين ترى هذه الوجوه الجادة المصممة على الانتقام.. من الصعب أن أتصور هذه الفتاة التي امتلأ وجهها بالتجاعيد والمقت، وهي تعالج شحنة ديناميت.. من الصعب أن أتصور أنها تمثل دورًا محبوبًا.. ومن العسير أن أتصور هذا عن الوحش (ماك - جورج)

أو (كالاهان) الودود.. كلهم يبدون صادقين
كالصدق ذاته..
لكنني أعرف ذلك الآن جيدًا.. وكان يجب
أن أصدقته..



حينما برز لنا من النفق رجل له شعر
ناعم وشارب كث.. وكان يحمل بين
ذراعيه جسدًا صغيرًا يلفه بمعطفه..
عندها عرفت أنّ هذا هو (قاسم) التركي..
وأدركت من وجهه أنّ هناك كارثة ما..
كارثة لا جدال حولها..
كان ملهوفًا.. لكنه تقدم وسط الرجال
المندهشين، وأرقد الصبي على إحدى

الحشايا المتناثرة.. ثم ركع جواره وقال:

- «إنّه محموم.. يهذي منذ ساعات..»

يا لعاطفة الأب!

لقد هوت به من عليائه التي كان فيها
شديد الثقة والكبرياء إلى حضيض الانهيار
النفسي والمعنوي.. كأنه يفتش عن قدم
إنسان يلثمها مقابل أن يعود ابنه سالمًا..

قال (جيمي) مفسرًا للمجتمعين:

- «هذا (قاسم).. أو (سارو سمادهي)

حسب بطاقة العبودية..»

- «نعلم..»

وجثا أحدهم على ركبتيه جوار الصبي..

وتحسس عنقه.. وشفّتيه اللتين غطتهما

قشرة بيضاء لزجة.. وقال:

- «التشخيص واضح يا (قاسم).. وأنت تعرفه كما نعرفه!»

اتسعت عينا الأب.. وتلفت حوله كأنه يبعد اتهامًا مريّرًا:

- «لا! إن (سيف) نظيف جدًّا.. ولن يُصاب بال.. بال..»

- «إن برغوثة واحدًا يكفي كما تعلم..»

قال (ماك جورج) بصوته الغليظ:

- «نحن لن نسمح ببقاء حالة طاعون دملي ها هنا!»

صاح الأب في توحش وعيناه تدمعان كما:

- «لكنّ إذا عدت به لداري سيموت بالطاعون.. أو بنيران فرقة التطهير المغولية.. وهو.. هو لا يطيق الحر!»

وسال الدمع ليغرق خديه.. لكنّ (ماك - جورج) قال:

- «هذا قدرك.. إن مصلحة المجموع أهم من مصلحة الفرد..»
- «لن أفعل!»

- «لا مجال للاختيار..»

- «أيها الدب الفظ! أنا أستطيع أن....»
واندفع ليضرب العملاق الزنجي.. وهو خطأ يتكرر كثيرًا هذه الأيام.. وبعيني رأيت كيف كنت أحمق ضعيفًا عندما فعلت الشيء ذاته منذ ساعات.. إن مهاجمة الدب الأشهب بيدك العارية يجعلك لا تدري ما يحدث لك حقًا..

وراحت (سلمى) تجفف الدماء عن وجه الرجل وثيابه..

بينما مشيت أنا لأقف أمام (ماك -
جورج).. لقد صار هذا الفتى مصدر كدر
دائم لي.. وكان عليّ أن أتكلم..
قلت لهم بصوت متحشرج:

- «اسمعوا يا حمقى.. لن أدخل في
التفاصيل.. لكني أقول لكم إن هذا الصبي
المريض.. هذا الغلام المحتضر.. هو أملككم
الأخير في الخلاص من المغول! لقد تأخر
في الظهور سبعة قرون كاملة، لهذا سيطر
المغول عليكم.. لكنه قد ظهر الآن.. وهو
الذي سيكسر شوكة هؤلاء الرعاة
المفترسين.. لكنكم - بغباء - تتركونه
يموت..»

اتسعت العيون تلتهم بنظرات عدم
التصديق.. بل الاستعداد لتمزيقي..

وسمعت من يقول:

- «ها! إنها نبوءات العرافين إذن! من

أنت يا فتى؟ (إيليا)؟»

- «لا تصغوا لهذا الهراء!»

قلت بنبرة أقوى:

- «أنا أعرف ما أقول فلا تنتظروا حتى

يموت الصبي وتزعموا أنني كاذب.. إنني

أؤكد بكل أمانة أن من سينقذ هذا العالم

يُدعى (قطز).. (سيف الدين قطز).. ولا

أعرف واحدًا آخر بهذا الاسم سوى

الصبي..»

- «والدليل؟»

- «لا دليل سوى كلامي.. لكن كمبيوتر

المغول - ماذا كان اسمه؟ - قد استنتج شيئًا

ممثلاً.. لهذا تعليمات المغول تقضي بإبادة

العرب والمسلمين عن بكرة أبيهم.. وغارة
(طهران) التي وقعت أمس تقول إنني
صادق..»

ورفعت أصبعي السبابة مؤكداً:
- «حسابات التنبؤ المستقبلية للكمبيوتر
تقول إن الخطر القادم عربي أو مسلم..
وانا - بمصادري التي لن أعلن عنها - أقول
إن الخطر القادم هو صبي من أصل تركي
يدعى (سيف الدين قطز).. فهل مازلتُم
مصرين على الإنكار؟»
تبادلوا النظرات.. واضح أن الشك بدأ
يغزو نفوسهم...

وقال (كالاهان) وهو يتأمل الصبي:
- «لماذا لاتحاول إنقاذه يا (ماك -
جورج)؟ من الخسارة أن يموت ملاك

صغير كهذا..»

ظل الثور الأسود صامتًا يفكر..

ثم - بعد برهة - أشار بيده إلى ممر جانبي.. وغمغم:

- «ليكن.. لكنّ احرص على عزله عن

الآخرين...»

وحمل الأب ابنه إلى المكان المقصود..

كانت هناك حشية على الأرض..

ومصباح (كيروسين).. ولا شيء آخر

سوى رائحة المجاري القوية..

شمرت (سلمى) عن ذراعيها.. وصاحت:

- «سأعني به.. أعرف أنني أستطيع

العناية به...»

وقمنا بتجريد الصبي من ثيابه، وأحرقناها

بعناية.. ثم تخلصنا من ثيابنا أيضًا وارتدينا

ثيابًا نظيفة، ووضعت (سلمى) قناعًا
صغيرًا على أنفها.. وراحت تضع
الكمادات للصبى مستعملة دلّوا مليئًا بثلج
مجروش من الشارع..

- «نحن بحاجة إلى مخفضات حرارة..
وبعض (الستربتوماسين)..»
سألها في دهشة:

- «من أين تعرفين ما ينبغي عمله؟»

- «إنك تقرأ هذه الأشياء أحياناً..»

المشكلة هي أن الدواء لا يُصرف في هذا
العالم إلا بتذكرة طبية... ولا يمكن
الحصول على واحدة إلا في وجود طبيب..
والطبيب سيبلغ فرق الحرق وإلا احترق
هو شخصياً..

قال (كالاهان) وقد بدا الأمر يثير
اهتمامه:

- «إن (أبو فراس) قد جلب لنا بعض
المعونات الطبية.. ربما وجدنا بينها ما

يصل

ح..

«

واق

تاد

(سلم

ى)

إلى

ثلاثة

صنا

ديق

متر

صا

ملا

ى



وراحت تضع الكمادات للصبى مستعملة دلوًا مليئًا بثلج
مجروش من الشارع ..

بالأدوية.. ولم تكن الأسماء التجارية
معروفة لنا لكننا رحنا نتهجى الحروف
حتى وجدنا كلمة (ستربتوماسين).. وبعملية
حسابية بسيطة عرفنا الجرعة الملائمة
للصبي..

كان المسكين يهذي.. وقد تحشرج صوته،
فلم نعد نفهم شيئاً مما يقول.. وحين عرت
(سلمى) خن فخذنا العلامة المشئومة
إياها..

الخراج الساخن الأحمر الثائر..
- «ثمّة فرصة لا بأس بها في أن ينجح
فتح الخراج في إنقاذه..»
- «وكيف تعرفين هذا؟»
- «قرأت عندكم تاريخ الحملة الفرنسية
في (عكا).. وعرفت ما كان أطباء

(نابليون) يفعلونه لإنقاذ مرضى الطاعون
الفرنسيين..»

- «والعدوى؟»

- «لن تحدث.. لقد قطع (ديجنت) طبيب
الحملة الفرنسية فحذه بمبضع ملوث بصديد
من جندي فرنسي يحتضر.. ولم يحدث له
شيء..»

وطلبت خنجرًا.. فكان عندها خمسة
منها..

وسرعان ما بدأت تمارس مهمتها
البشعة..

رباه! لقد كانت (سلمى) ثابتة الجنان حقًا..



وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي،
دخلت (المستشفى) الصغير الذي أوجدته
لنا.. فوجدتها تواصل وضع الكمادات..
بينما أبو الصبي يحاول إقناعه بتجرع
بعض الحليب..

- «كيف الحال؟»

ابتسمت.. وكانت عيناها حمراوين بلون
الدم إرهابًا.. وأرخت قناعها:

- «الحرارة تنخفض.. لكنّ الخطر لم

يتزحزح..»

لكنّ وجه الصبي كان أقلّ احتقانًا...

وعرفت أننا - حتى هذه اللحظة - قد بدأنا

نربح معركتنا المرتجلة مع الموت..

ونربحها بماذا؟ بوسائل تثير ضحك أي

طبيب في أحقر وحدة ريفية معدومة
الإمكانيات..

الخطر لم يتزحزح..
لكنه لم يعد واثقًا من نفسه إلى هذا الحد...



ليلة الكريسماس...

خرجنا من المجاري لنلقي نظرة على
المدينة.. فأنا لم أر (الكريسماس) في بلد
أجنبي قط.. ومن الغريب أنني أراه حين
أراه في بلد أجنبي في كوكب آخر.. ووسط
طغيان المغول.. وخطر الطاعون..

رأيت ذلك الطابع الساحر الحزين للجليد
والبرد وأغاني عيد الميلاد، والأضواء

التي تلتهم متلائة بمئات الألوان، فوق
الأشجار التي كساها الثلج.. والمزود
بأبقاره وخرافه.. وتمثيل العذراء
ووليدها..

كان العبيد يحاولون أن يستمتعوا بحياتهم،
ناسين - أو متناسين - الطاعون والمغول
وصوت الطلقات التي تدور في الأحياء
الخلفية..

لكن المغول ما كانوا ليتركوا لحظات
كهذه...

كان التلفزيون ينقل باستمرار المذابح التي
يقومون بها في دول الشرق الأوسط.. ثم -
في الساعة مساء - أعلنت المذبة بوقار
عن الانتقال إلى (مقبرة الجدود) لنقل
طقوس (عيد المومياء)...

- «عيد الموميااء؟»

- «طبعًا.. لقد اختاروا أن يكون هذا العيد
ليلة الكريسمااس لإفساد متعة المحتفلين في
كل مكان..»

وكانت مقبرة الجدود مبهجة حقًا..

مومياوات معلقة من خطاطيف في كل
صوب وعلى كل جدار.. وقد راحت
الكاميرا تجول بينهم مع تنوية عن اسم كل
موميااء نراها.. والأمجاد التي قامت بها...
كنا نشاهد هذه السهرة الممتعة في وكر
(الخاصرين) تحت الأرض، وبالطبع لم
أجرو على إظهار دهشتي أو تقززي لأن
ما يدور كان روتينيًا بالنسبة للجالسين
جميعًا..

وبعين لا تصدق رأيت المغول يسكبون
الكيروسين على ثلاث أو أربع موميאות..
ثم يشعلون فيها النار..

وراحت الجذوة الرهيبة تزداد توهجًا..
والضوء الأصفر المقيت يغمر الوجوه..
فيما المغول ينشدون بصوت رهيب أنشودة
ما.. لا بد أنها نوع من الحنين لأمجاد
الماضي...

قال (كالاهان) ويده على ذقنه.. وقد أحسّ
بحاجة إلى التعليق:

- «إن الأوغاد يقدسون النار حقًا.. وهم
بهذا يمنحون التكريم الأعظم لأجدادهم...»
ثم ابتسم بخبث.. وأردف:

- «لكنّ الحرق ينتهي بنبوءة دائمًا.. دعنا
نسمع ما يُقال..»

لم تعد معالم المومياوات ظاهرة.. فقد
تحولت إلى نوع من الفحم الأسود..
والدخان يزداد كثافة..

- «تبًا! يا له من حفل منوعات!»

وإذا بمغولي أشيب اللحية، يرتدي ثيابًا
تقليدية كالتي ارتداها المغول يومًا وهم
يفارقون ثلوج (منغوليا)، يتقدم في تودة
نحو المومياوات المحترقة.. وينحني..
ويصغي..

هنا دوى صوت رهيب يقول أشياء لا
أعرف كنهها..

ورفع الكاهن - لا بد أنه كاهن - عقيرته
يردد ذات الكلام...

وهنا بدأ المرح.. الصياح.. آلاف المغول
يرقصون حول المومياوات المحترقة..

يلوحون بالسيوف.. يجرعون الخمر حتى
الامتلاء..

بينما نحن نرمق كل هذا في غيظ غبي..
أو غباء مغتاظ..

التفت أحد الثوار إلى (كالاهان) يسأله:
- «ما رأيك؟»

- «الأمر واضح..»

وتنهد في استسلام...

سألته - وقد أدركت أنه يجيد اللغة
المنغولية - عما هنالك.. فقال:

- «لقد تعلّمت الأوراح.. قالت لهم إن
الخطر الذي يهدد أمة المغول مريض الآن
تحت الأرض.. في إحدى مدن (أمريكا)..
وأنه حتمًا ميت.. فلا خوف على المحاربين
الشجعان..»

وهنا سمعت صرخة (سلمى).....
صرخة لم يسمعها سواي.....



٩ - أحدهم بيننا..

هرعت إلى المستشفى المرتجل متوقِّعًا
أنني سأجد الصبي ينظر للسقف بعينين لا
تريان، و(سلمى) تولول، والأب فاقد
الوعي أو يولول بدوره...

حمدا لله لم أر شيئاً من هذا..

فقط كانت (سلمى) واقفة في منتصف
القاعة، ويدها اليمنى في خصرتها، ويدها
اليسرى تمسك بزجاجة حقن، وعلى وجهها
تعبير اتهام لا يمكن وصفه.. وحين رأته
ارتفع حاجب الشك الأيسر وقالت:

- «(سالم).. لقد كنت موشكة على إعطاء
الصبي حقة المضاد الحيوي، حين اكتشفت
أنها تحوي هذا الشيء!»

تقدمت في خطوات مترددة، وأمسكت
بزجاجة الـ (ستربتوماسين) التي في يدها..
وتأملتها في نور المصباح..

كان الأمر أخطر - إلى حدٍ ما - من انتهاء
تاريخ الصلاحية.. لقد تم إلصاق ورقة
مزيفة على الزجاجة التي يعلم الله وحده ما
تحتويه..

قلت لها وأنا ألقى بالزجاجة في أحد
الأركان:

- «خطأ قاتل.. ولا بد أن هناك من عبث
بهذه المعونات.. إن هذه الأشياء تحدث..»
قالت بنفس صيغة الاتهام:

- «تحدث كثيرًا جدًا.. لأنني وجدت ذات
التلاعب في زجاجة مخفض الحرارة
أمس.. ثم اكتشفت أن مسحوق اللبن الذي
كنت أقدمه له لا يذوب في الماء جيدًا.. وقد
أجريت تجربة صغيرة على متطوع رضى
بأن يذوق بضعة ملليجرامات من
المسحوق.. مجرد جزء صغير من طرف
الملعقة.. وكانت النتيجة حاسمة..»
عندها عرفت سر هذه الكتلة من الثياب
المكومة في ركن القاعة.. لقد كان هذا هو
(قاسم) - المتطوع - الذي تمدد على
الأرض، غارقًا في القيء والأنين.. لقد
لمحته بطرف عيني ولم أدر ما هو..
كان حيًا لكنه يتألم إلى حد يجعله يتمنى لو
لم يكن...

تساءلت في غباء:

- «وما معنى هذا؟»

- «معناه أنّ هناك من يحاول جاهداً

الخلاص من (قطز) الصغير.. وبالتالي هو
عميل للمغول..»

جلست على الأرض محاولاً أن استجمع
أعصابي.. وقلت:

- «ولكن لماذا؟»

ردّت وهي تتناول زجاجة حقن جديدة
وتتأكد من مظهرها:

- «لأنك كنت مقنعاً في خطبتك البليغة..

ويبدو أنّ هناك من اقتنع بها أكثر من
سواه..»

- «لا أعتقد هذا.. فالمغول - لو علموا

مقر الثوار - لقادرون على اقتحام المكان

وحرقة قبل أن يرتد إليك طرفك.. ويمكنهم
التخلص من الصبي وأبي الصبي وأجداده،
دون حاجة إلى هذه الألاعيب التي تنم عن
ضعف وجبن..»

قالت وهي تملأ المحقن:

- «بالعكس.. إن عميلهم هنا يجعلهم على
علم تام بأسماء الثوار وتحركاتهم.. فهم
يمارسون ما يقوم به رجال المخابرات
حين يتركون جاسوسًا (تحت السيطرة)..
فيتمتع بحريته كاملة لأن حريته تقدم لهم
من المعلومات ما هو أكثر قيمة من القبض
عليه.. ولا بد أن عميلنا الهمام قد تلقى أمرًا
بالخلاص من الصبي على سبيل
الاحتياط..»

- «وبالطبع لو مات الصبي فالطاعون هو
المتهم الوحيد..»

قالت وهي تفرغ المحقن في فخذ
المريض:

- «أو أكون أنا السبب لأنني جاهلة
بالطب..»

هنا قلت وقد تذكرت شيئاً:

- «لقد فاتك منذ ثوان احتفال المغول
بحرق المومياوات على شاشة التلفزيون..
كانت هناك نبوءة بصدد هذا الصبي..»

- «بالطبع هي نبوءة صادقة جداً.. لأنها
تقرير مخابرات وليست نبوءة.. وهذا
يعطى مصداقية لكهنتهم النصابين..»

غطيت وجهي بيدي.. وهمست:

- «رباه! أنا خائف!»

هرعت لتجلس جواري على الأرض
وطوقت عنقي بساعدها..

- «خائف يا حبيبي الصغير؟»

- «إنني لا أحتمل جو الأخطار
والمؤامرات هذا.. فأنا رقيق الإحساس..
ربما جبان كذلك..»

- «كلا.. لست جباناً.. فقط أنت لا تخجل
من الاعتراف بالخوف..»
كانت رقتها تغمرني..

وتذكرت - في زحام الهموم - أنني أحبها
كثيراً.. فقط لم أجد وقتاً كافياً للتعبير عن
ذلك أو لاستعادته...

وهناك إذ جلسنا على الأرض نرمق جسد
الصبي النائم - والذي بدأ يتحسن بشكل
واضح - كان السؤال الذي يؤرقنا هو..

من هو؟ من هو؟



بالطبع هو (ماك - جورج) الدب الأسود
الفظ..

قالت (سلمى) باسمه:
- «لا أظن.. أنت تكرهه مثلي لكنّ ذكائه
المحدود لا يتيح له أن يلعب دور العميل..
إنني أفكر في آخر واحد يمكن التفكير فيه..
(كالاهان).. إن الأشخاص شديدي المودة
يكونون هم الجناة دومًا في القصص
البوليسية التي على غرار (من فعلها؟)..
- «وماذا عن (جيمي) النصاب؟»

- «وماذا عن باقي الثوار؟ إن الاحتمالات كثيرة جدًا.. لكنّ يجب أن نثق بواحد..»
- «أنا أعرف!»

كان هذا هو الأب التركي الذي تحامل على نفسه ليجلس.. وهز رأسه ليتخلص من الدوار المزعج.. وراح يجفف ما على وجهه من عرق، وما على شفتيه من قيء...

قالت (سلمى) في سرور:

- «يسرني أنك لم تمت بعد..»

قال وهو غير مستعد للرد على دعابتها:

- «(أبو فراس).. سنذهب إليه.. إنّه

يعرف ما يجب عمله..»

- «ولكن.....»

- «البقاء هنا لا يعني سوى موت الصبي.. في هذه المرة لن يكون الطاعون هو السبب...»

وراح يجمع زجاجات الدواء المبعثرة والسرنجات في كيس بلاستيكي.. ثم طلب مني أن أحمل الصبي لأنه لا يقدر على ذلك.. أنا؟ أحمل بين ذراعي مريض طاعون؟ إن الرجل يبالغ حقاً..

همست (سلمى) وقد فهمت ما يدور بخلدي:

- «هلمّ.. لقد فعلها (بونابرت) مع مريض طاعون في (عكا).. ولم يكن هناك علاج للمرض وقتها..»

- «يا سلام! لقد فعلها (بونابرت) كي يزيل مخاوف الأطباء من المرض

ويضرب لهم مثلاً شجاعاً.. وربما فعلها
تظاهراً كي يتحدث عنه التاريخ بإعجاب..
لكن ماذا أحاول إثباته أنا؟»
تنهدت في صبر.. وقالت:
- «(سالم)! احمل الصبي!»
وعلى كل حال فعلت ما طلبته مني
حرفياً...

وفي هذه المرّة لم نخرج إلى القاعة
الرئيسية حيث الثوار، بل قادنا الأب إلى
ممر جانبي متعرج مظلم.. ورحنا نركض
لاهثين.. ومياه المجاري تتناثر تحت
أقدامنا..

طراش ش! دوي هذا الصوت أكثر من
مرة حين كان أحدنا يتعثر أو يوشك على

ذلك.. لكننا واصلنا ركضنا هاربين من
المكان...

وحيثما فتح غطاء المجرور؛ لم نكن
نعرف أهذا ليل أم نهار.. فكل الأوقات
تتشابه تحت الأرض..

لكننا لمحنا اللون الأسود.. والأضواء
الخافتة القصية، فعرفنا أننا ليلاً..

بل في منتصف الليل على وجه الدقة..

الجليد يغطي الأرض.. ومن بعيد تسمع
أناشيد الكريسماس.. وتسمع جلبة
المحتفلين.. لكننا هنا نحاول أن نعيد غطاء
المجرور إلى مكانه، ونهيل الثلج عليه
ليبدو غير مختلف عما حوله..

واجتزنا بضعة أزقة من تلك التي لم نر
سواها في (نيويورك)..

وعند قارعة الطريق رأينا الشرطى
المغولى..

وكان يشير نحونا بفوهة بندقيته الآلية..
وسمعناه يهتف:
- «تعالوا!»



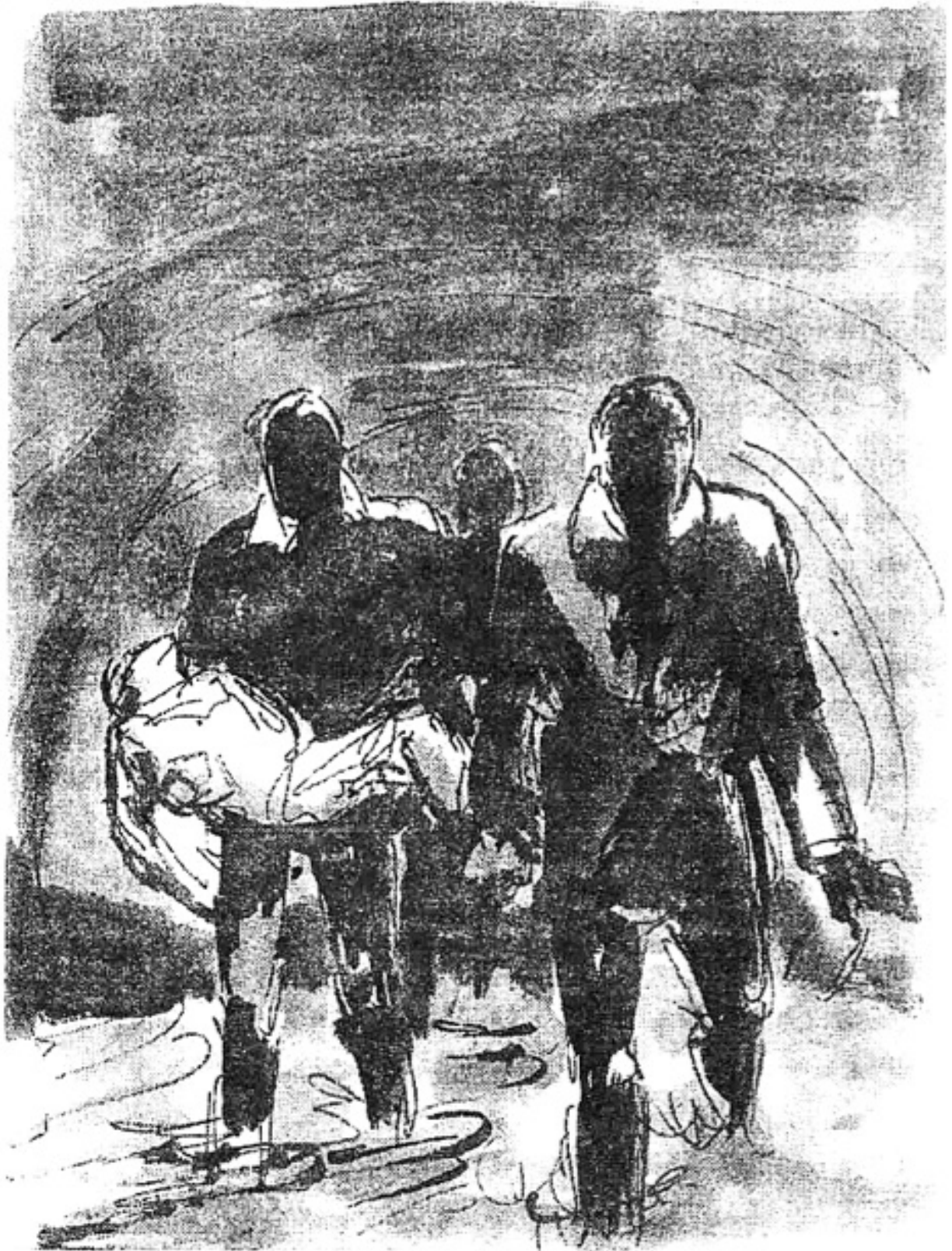
في رعب تقدمنا.. لكنّ الأب كان أكثرنا
جرأة..

رأيته يدنو من الشرطي.. ينحني ليذني
فمه من أذنه ويهمس بشيء ما.. هنا ابتسم
الشرطي وتأملنا قليلاً..

ثم - بعربية واضحة - سمعته يقول:
- «مرحبًا بكما.. أنتما في أمان الآن!»
هتفت (سلمى) في ذهول:
- «أنت؟»

- «نعم أنا (أبو فراس).. إن نوبة
حراستى هنا دائماً.. والجميع يعرف أين
يجدني..»

قلت أنا منبهراً:
- «تتكر متقن حقاً!»



ورحنا نركض لاهثين .. ومياه المجارى تتناثر تحت أقدامنا ..

- «إنّه كذلك.. ولا يكلف كثيرًا سوى
إطالة شاربك، وإجراء جراحة تجميل
لجعل عينيك مشدودتين ضيقتين.. لم
يستطع أحد أن يشك في مدى خمسة
أعوام..»

ثم دعانا إلى وكره.. وهو بيت صغير من
القرميد الأحمر على بعد مائة متر من
المكان الذي قابلناه فيه..
أوقد النار في مدفأة صغيرة، وأعد لنا
بعض الشاي، ثم مسح بيده على جبين
الصبي.. وقال:

- «أرى أنه يتحسن.. ما اسمه؟»

- «(سيف)..»

ولم أرد أن أوضح أكثر.. فمن يدري؟
قال الأب:

- «نريد تهريبه خارج البلاد باسم
مستعار.. نريد بلدا آمنا يترعرع فيه في
سلام.. ربما (نيوزلندا) أو (أستراليا)..»

- «هل لي أن أعرف السبب؟!»
صمت الأب مفكراً.. ومن الواضح أنه
قرر أن يخفي أوراقه لأسباب مشابهة
لأسبابي.. لم يعد من الممكن الثقة بأحد في
هذا العالم...

هنا نظر (أبو فراس) لي و(سلمى)..
وقال:

- «والآن هل لي أن أتشرف باسمكما..
وكيف دخلتما البلاد؟»

قال الأب وهو يرشف الشاي:
- «كيف لا تعرفهما يا (أبو فراس)؟ ما
من عربي يدخل البلاد من دون عونك»

- «لهذا أسأل.. ربما أنسى الأسماء لكنني
لا أنسى الوجوه..»
وابتسم ابتسامة قاسية.. وأردف:
- «وعليهما أن يثبتا لي أنهما ليسا
جاسوسين للمغول..»



١٠ - الفرار..

في هذه المرّة كان لا بد من أن نحكى كل شيء بالتفصيل..

بدا الأمر لـ (أبو فراس) كأحدى قصص الخيال العلمي.. وفي الغالب لم يصدّق حرفاً.. لكنه افترض كذلك أننا معتوهان ولسنا جاسوسين لدى المغول..



وحيثما وصلت بقصتي إلى الدواء المغشوش بدا الاهتمام على وجهه، الذي

تمكّن جراحو التجميل من جعله وجهًا
مغوليًا شرسًا..

وقال وقد بدأ يفهم:

- «لا بد من وجود جاسوس.. هذا
طبيعي.. لكني الآن أعرف من هو.. إنّه
(كالاهان) طبعًا.. فهو الوحيد الذي يتعامل
مع صناديق المعونات الطبية والألبان.. ثم
إنّه ضالع في تدبير كل خطة فاشلة قام بها
(الخاسرون).. عندما يتجه خمسة منهم
لتفجير مخزن سلاح، ويجدون المغول
بانتظارهم.. من صاحب الخُطة؟ (ستيفن)
و(كالاهان).. عندما نخطط لنسف
(أوجوتاي) ونجد المغول قد نقلوا كابلاته..
من صاحب الخُطة؟ (ماك - جورج)
و(كالاهان)..»

قلت مفسراً:

- «أي أن (كالا هان) هو المضاعف المشترك الأصغر في كل هذا..»

- «لكنّ إثبات هذا عسير في مهنة خطرة بطبيعتها.. أنتما الآن تقدمان لي برهاناً لا يحتمل الخطأ..»

ثم نظر إلى الصبي وقال:

- «سنقوم بترحيله إلى مصر بمجرد ما يستعيد قدرته على المشي..»

صحت في احتجاج:

- «مصر؟ إن البلاد العربيّة كلها غير آمنة في هذه الفترة.. فالمغول يتوقعون الخطر منها..»

قال في ثقة:

- «سنعرف كيف نخفيه هناك بين
الفلاحين أو سواهم.. لا بد من أن يترعرع
(قطز) في مصر إذا كانت النبوءة صادقة..
وبهذا لن نترك احتمالاً للفشل...»،
وقلت له وقد تذكرت مشكلتنا الخاصة:

- «ثمّة نقطة أخرى.. إن جهاز نقل
الجزئيات الآن في حوزة واحد من
الخاسرين يُدعى (لاري هولدن).. وقد
ذهب في مهمّة لم يعد منها حتى الآن..
فهل عندك فكرة عن؟»

- «إن (لاري) قد خرج لنسف مركز
اتصالات الـ (إيثرنت) الخاص بالمغول..
والخطة من تدبير (كالاهان).. أعتقد أنه
سيلاقي مفاجأة غير سارة إن كان لي أن
أعتمد على حدسي.. إن العثور على

جهازكما شبه مستحيل.. لكنّ عندي أملًا
واهيا..»

ثم نظر إلى الأب.. وسأله:
- «هل هناك جثث جديدة في (سنترال
بارك)؟»

- «يبدو أنّ هناك اثنتين..»
قال لي وهو يحشو مسدسًا ويدسه في
حزامه.. ويتأكد من وجود الرشاش
والقنابل اليدوية:

- «إن المغول يعلقون قتلاهم في (سنترال
بارك) كالذبائح.. ويمنعون دفنهم.. نحتاج
إلى حظ غير عادي كي نجد (لاري)
هناك، ونجد الجهاز في جيبه.. فلنأمل أن
المغول لم يفتشوا جثته..»
قال الأب مؤمنًا:

- «ولنأمل أن طلقاتهم لم تهشم الجهاز!»
بدا لي الأمل واهيًّا كأمل أن تمزق طلقة
رصاص قلبك وتبقى حيًّا.. لكني تمسكت
به على كل حال..

- «هيا بنا...»

وحمل الأب صغيره بين ذراعيه..
وأمسكت بـ (سلمى) من ذراعها.. واتجهنا
نحو باب المخبأ.. كانت هناك دراجة
بخارية خاصة بـ (أبو فراس) من دراجات
الشرطة.. لكننا صرنا مضطرين للمشي..
سألته ونحن نخترق الشوارع الخلفيّة
لاهثين:

- «ما هي خطتك لتهريب الصبي؟»
قال وهو يتلفت حوله في حذر:

- «هناك طيار روسي يدعى (أنطون إيزاروفيتش) هو الذي يتولى هذه الأمور.. فالروس هم الذين اخترعوا دفاعات الرادار للمغول، وهم الذين اخترعوا طائرات قادرة على اختراق هذه الدفاعات! لقد قدموا للمغول السجن، وقدموا للثوار المفتاح! لذا أستطيع الدخول والخروج بحرية تامة..»

- «أنت رائع يا (أبو فراس)!»
- «هذا صحيح.. أنا (بابا نويل) العرب ها هنا.. وكلهم يعرفون أنني سأنقذهم من أي خطر..»

- «نحن مدينون لك..»
قال وهو يلهث في ركضه وقد سبقني ببضعة أمتار:

- «أنا كذلك مدين لكم.. فأنا في الخامسة والأربعين من عمري، وقد صار الكفاح مهنة مرهقة لي... عشرون عامًا أركض في الشوارع الخلفيّة، وأهرب السلاح، وأطلق النار على المغول.. ثم...»

ثم التفت للوراء والتمعت عيناه.. وأردف:
- «ثم جنّتما لتقولاً لي إن هناك أملاً.. بعدما ظننت أنه لا أمل هنالك، وأن المغول باقون حتى تقوم الساعة.. من يدري؟ ربما لو عشت عشرة أعوام أخرى لصرت من قادة (قطز).. لربما وقفت بجانبه في تلك المعركة.. قلتم لي ما اسمها؟»

- «(عين جالوت.....»

- «(عين جا.....»

ولم يكمل حروف الكلمة.. لأن الليل
استحال نهاراً..

ورأينا عشرات الكشافات مصوبة نحونا
من كل الاتجاهات.. كأن الشموس قد
تحالفت علينا..

ودوت طلقات الرصاص كالسيل
المنهمر.. بصعوبة عرفت أنّ هذا هو
صوت الرصاص، وأنّ هذه الطلقات
موجهة نحونا.. فقد بدا الأمر كحلم ملون
غريب..

- «اللعنة!»

قالها وألقي بقنبلة انتزعها من حزامه..
وراح يركض نحو الجدار المجاور لنا..
فهرعنا نركض وراءه.. وشعرت بألم حاد

في كعب حذائي، لا.. بل في كعب قدمي..
لكني لم أكف عن الركض...

وحين نظرت لحظة إلى الوراء رأيت
المكان قد استحال إلى ضباب كثيف
عجزت الكشافات عن اختراقه..

كانت قنبلة دخان..

وتوارينا في الفراغ ما بين بنايتين.. فراغ
ضيق لكنه يسمح له بإطلاق الرصاص
بغزارة ولا يسمح لمحاصرينا بالدنو.. لكنه
مصيصة فئران لعينة لا يمكن البقاء فيها
أكثر من دقائق..

وسمعه يقول وهو يشهر بندقيته الآلية:

- «إنه (كالإهان).. لقد أبلغهم بمقري..

اللعنة! إنهم يخشوننا حقًا، وقد دفعهم

الخوف إلى التخلي عن مراقبتهم
الحذرة..»

ثم نظر إلى الأب المذعور وقال له بلهجة
لا تقبل المناقشة:

- «ستذهب إلى (جيمي).. هو يعرف أين
يقودك.. ولسوف يقوم (إيزاروفيتش)
بالفرار بك هذه الليلة..»
وداعب وجه الصبي السقيم بسبابته..
وقال:

- «وداعًا أيها القائد (قطز).. لا ترفق
بهم.. واذكرني بالخير في كتب التاريخ
التي ستصف مجدك.. يجب أن تدمر
الكمبيوتر (هولاكو) في (سيبيريا) قبل أن
تقارع جيوش (كتبغا) في (عين جالوت) لا
تنس هذا!»

ثم نظر لي و(سلمى) وهتف بذات اللهجة:
- «أما أنتما فتذهبان إلى (سنترال بارك)
وحدكما.. وإن لم تجدا الجهاز فاذهبا إلى
(جيمي) طالبين العون.. وداعًا! وخذا هذا
معكما..»

هتفت (سلمى) وهي ترمق المسدس الذي
في قبضتي:

- «سنبقى معك!»

- «هل تمزحان؟ لا بد من أن أغطي
هروبكما بستار من النيران.. ثم إنهم
سيحضرون قاذفات الـهـب حاليًا.. وهي
كفيلة بتحويل هذا المكان إلى سقر..
أسرعا!»

واندفعنا نركض بين البنايتين قاصدين
الجهة الأخرى غير المحاصرة.. ونحن لا

نزال نسمع صيحته: (أسرعوا)..
بعدها انطلق وابل من النيران من بندقيته
الآلية..



لم يكن هناك سوى الظلام عند نهاية
الفراغ بين البنائيتين..
رحنا نركض في المساحة الخالية
المكشوفة، ولحسن الحظ كانت هناك
سيارتا أجرة تقفان بعيدًا، وقد وقف سائقاها
خارجًا يثرثران ويدخان..
وعلى الفور وثب الأب وابنه في واحدة،
ووثبت و(سلمى) في الأخرى.. ونظر

السائقان لنا في دهشة.. ثمّة اتجه كل منهما إلى سيارته...

أخرجت رأسي من النافذة ولوحت للأب.. ربما لن يرى أحدا الآخر، لكنني أعرف أنه سيذكرنا طويلاً جداً كما سنذكره.. هذا إن بقي أحدا حياً..

هتف الأب بالإنجليزية:

- «سننجح.. اطمئن علينا.. المشكلة الحقيقية هي مشكلتكما!»

ثم أردف بالعربية والسيارة تتحرك (حتى لا يفهم السائق كلامه):

- «لا تتوقفا أبداً حين ترونهم.. فهم لن ينذروكما أو يقبضوا عليكما أو يستجوبوكما.. بل سيطلقون الرصاص على الفور!»

وتحركت السيارة بعيدًا عن عيوننا...
وهنا رأينا لسان النار يخرج من الشق
الذي كنا فيه بين البنائيتين وعرفنا أن (أبو
فراس) كان صادقًا...

رحمه الله.. لقد كان رجلًا شجاعًا!
- «(سنترال بارك) بأقصى سرعة..»
قلت لها للسائق الزنجي.. فسألني بأسلوب
الزئوج المميز في الكلام:
- «هل عندك مشاكل مع المغول يا رجل؟
أنا لا أريد مشاكل!»

- «لا تقلق.. فقط تحرك سريعًا..»
وانطلق السائق ينهب الشوارع نهيبًا..
الشوارع المظلمة الكثيفة التي كساها
الجليد.. وعلى الرغم مني خرجت أنّة من
بين أسناني..

- «هل أصبت؟»

- «نعم.. في كعبي.. ولكن لا داعي
للهستيريا.. الأشياء المهمة أولاً..»

وهنا لمحنا الأضواء من ورائنا.. ودوت
سريفة عربات الشرطة تولول منذرة
بهلاكنا التام وموتنا الزؤام...

قال الزوجي وهو يرمق المرأة:

- «اللعنة يا رجل! أنتما هاربان!
سأتوقف!»

- «لا يا غبي.. فهم لا يتناقشون..»

- «وأنا لا أريد مشاكل لعينة.. إنهم

يعرفون رقم سيارتي الآن!»

وأدار المقود ليقف إلى جانب الطريق..

وداس الفرملة.. عندها جذبت يد (سلمى)

وفتحت الباب الجانبي ووثبنا منه.. وأطلقنا

ساقينا للريح..

كان هناك زقاق ضيق.. فاندفعنا نجري
فيه.. واخترنا أول منعطف لليسار ثم ثاني
منعطف لليسار..



إنهم لن يندروكما أو يقبضوا عليكما أو
يستجوبوكما.. بل سيطلقون الرصاص على
الفور...



(سنترال بارك)..

الحديقة الأسطورية تغفو في الظلام وقد
أشعرها الجليد ببرد شديد..

إنها مكان غير مأمون في عالمي.. يؤمه
الصوص وتجار المخدرات، ولا يمكن
المشي فيه ليلاً إلا بمطواة مفتوحة..

لكنها - في عالم القهر هذا - مكان
مأمون.. من الغريب أن البلطجية في هذا
العالم وجدوا أنفسهم مرغمين على لعب
دور الثوار..

الخطر الوحيد هنا يأتي من الشرطة.. لا
من أعدائها!

كنا نركض لاهثين...

البخار يتصاعد من ثغرينا.. وأذاننا
تصفر...

ثمة إحساس يغمرني بأن هذه هي نهاية
الفيلم...

ترى هل يكون المخرج من التقليديين
فينهى فيلمه نهاية سعيدة، أم يكون ثائرًا من
تلاميذ الواقعية الإيطالية فينهي الفيلم بموتنا
شر مية؟

إنني أفضل المخرج الثاني حين أذهب
للسينما..

لكني في الحياة أفضل بالتأكيد المخرج
الأول..

هه! هه! المزيد من البخار...

وهناك - على ضوء مصابيح الصوديوم
الخافت - استطعت أن أرى الأجساد
المعلقة.. كل جسد معلق على عمود
إضاءة..



ودنونا بحذر من مشهد الهول هذا..
كانت ستة أجساد.. اثنان منها بلا رأس..
وقد تدلت الأجساد بحبال غليظة ربطت
إلى السيقان.. وفي الضوء الخافت كان
بوسعنا أن نرى الثقوب الدامية في
الأجساد.. في الرءوس.. في الأعناق.. في
العيون...

مدت (سلمى) عنقها إلى الأمام وشهقت..
ثم إنها أفرغت معدتها.. وعندها
استطاعت أن تتنفس..

- «يا للهول!»

كان هناك جسدان انتفخا وفاحت رائحة
العفن منهما.. يمكننا إذن أن نستثنيهما..
فالأجساد لا تتعفن بهذه السرعة في
الشتاء.. و(لاري هولدن) - لو كان قد مات
- لا يمكن أن يكون قد مضى عليه أكثر من
يومين.. وكانت هاتان هما الجثتان عديمتا
الرأس..

بقيت أربعة أجساد..

اتجهت إلى العمود الأول.. ورحت أتسلق
المعدن البارد ببطء شديد وتأملت الوجه
الغائب في سر الأسرار...

كان أقبح من رأيت في حياتي..

مددت جسدي محاولاً الوصول إلى
جيبه.. لكنه كان بعيداً عن متناول يدي..
رحت أحاول مراراً..

هنا صاحت (سلمى) وهي تنظر لأعلى
نحوى:

- «(سالم).. لا تضيع وقتك.. اختر أكثر
الجثث وسامة فلا بد أنه هو! ألم يقولوا إن
كنيته هي (الجميل)؟!»

حقًا يا (سلمى).. أنت ذكية حقًا...

ورحت - وقد عدت إلى الأرض - أفتش
عن أكثر الجثث جمالاً..

يا لها من مهمّة سخيفة! إن الجثث كلها
تتشابه.. قناع الموت يشوه الوجوه كلها،
أكانت لـ(مارلين مونرو) أو أحده
(النوتردام).. كان هناك فتى أشقر الشعر
أزرق العينين.. ربما هو وسيم كذلك..

وفي هذه المرّة كان تصرفي إيجابياً..
أخرجت المسدس وأحكمت التصويب على

الحبل الغليظ و.. بوم!

ووم! ووم! ووم! راح الصدى يردد
الطاقة عشرات المرّات، وعلى الأرض
تمددت جثة الفتى والجليد يتناثر حولها..

- «هل جننت يا (سالم)؟»

- «هذه هي الطريقة الوحيدة لفحص

الجيوب..»

- «لكنّ الموتى سيسمعوننا!»

- «إن المغول آتون هنا على كل حال..

فسائق سيارة الأجرة قد أخبرهم بكل شيء

حتى اسم زوج خالته..»

كنت أتكلم وأنا أبحث في الجيوب

ملهوفاً.. الدم المتجمد يلوث يدي، وشعور

حقير بأنني سارق جثث..

لكني تغلبت على تقززي وواصلت
البحث..

لا شيء..

ونَهضت باحثًا عن عمود آخر عليه جثة
حسنة المظهر..

كانت جثة شاب أسود الشعر.. ويبدو أنه
لاقي عناءً كبيرًا في الموت فأتعبوه
وأتعبهم...

بوم! سقطت الجثة وسط الثلوج.. ورحلت
أنقب في جيوبها...

لا شيء...

وهنا خطرت لي فكرة.. لم لا يكون
ال.....

وهنا رأينا الطائرة قادمة....



إنهم لن يندروكما.. أو يقبضوا عليكما..
أو يستجوبوكما.. بل سيطلقون الرصاص
على الفور...



راتاتاتاه!
ورأيت خطأ من طاقات الرصاص يرتسم
على الجليد في اتجاهنا.. ومرّ الخط على
بعد مترين منا.. ولمحت وجه (سلمى)
يلتمع في ضوء الكشف القوي وهي
تصرخ، بينما الجليد يتناثر في كل صوب..

وحين ابتعدت الطائرة لتقوم بدورة أخرى، استطعت أن أعرف أنها طائرة عمودية.. وأن (مترليوز) هائل الحجم يخرج من بابها..

- «(سالم)! فلنهرب!»

نعم.. هذا حق.. ولكن لأين؟

ورأيتهما ترجع لتعيد الكرة.. فأمرت (سلمى) بالاحتواء خلف عمود.. وصوبت المسدس في دقة.. وكتمت أنفاسي..

إن الطائرة دانية جدًا.. سأكون أحمق لو لم أصبها.. سأكون أحمق لو لم أرسلها إلى جهنم..

وفي اللحظة التالية أطلقت الرصاص مرتين..

ولم تنفجر الطائرة.. لكني رأيت شيئاً
يهوى منها كجوال ثقيل.. وسمعت صرخة
مكتومة ورأيت الجليد يتصاعد كسحابة من
طبشور...

لقد سقط القناص....

دارت الطائرة دورة أخيرة ثم ابتعدت...
طبعاً لتحضر المزيد من الطائرات
وعربات الشرطة وقاذفات الـهـب.. يجب
استغلال الثواني الباقية لنا...

عندي فكرة لا بأس بها..

إنهم يسمون (لاري هولدن) باسم
(الجميل)..

قد تكون هذه دعاية فظة من التي يمارسها
الرعاع أحياناً.. بل نمارسها نحن حين
نسمي طفلاً بائساً فقيراً باسم (البرنس).. أو

نطلق على المصاب باللعثمة لقب
(الفصيح)...

ربما كان (لاري هولدن) هذا قبيحًا جدًا..
وكانوا يتهمون عليه..

ومن أقبح من صاحب الجثة الأولى؟
اتجهت نحو العمود وأطلقت طلقة واحدة
- ربما هي الأخيرة فلم أعد أذكر - ورأيت
جثته تهوي فوق الثلوج..

صاحت (سلمى) محتجة:

- «لكنّ.. لكنه قبيح!»

لكني رحت أفتش جيوبه بعناية.. لحسن
الحظ أن الطلقة التي قتلته كانت في رأسه..
لكنّ.. لا يوجد جهاز! لا يوجد شيء!

هنا شعرت بشيء بارز في أسفل بطنه..
شيء حشره هو بين جدار البطن وبين

حزامه...

دعوت الله ألا يكون هذا مسدسًا.. ألا
يكون مليون دولار من دولارات المغول..
ألا يكون أي شيء سوى.....

وبعد لحظة خرج جهاز ناقل الجزيئات
في يدي!

كان سليمًا كالكمّان..

وبدا لي أروع شيء رأيته في حياتي...

- «(سلمي)! إنه هنا!»

- «حمدًا لله!»

ودوى هدير محركات طائرات المغول
وسيارات المغول.. وسمعنا طلقاتهم تمزق
الهواء من حولنا...

جريت كما لم أجر من قبل (إن كعبي
يقتلني)...

وجرت (سلمي) كما لم تجر من قبل..
وتلامس جسدانا...

٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠



هنا شعرت بشيء بارز في أسفل بطني .. شيء حشره هو بين
 جدار البطن وبين حزامه ..

ضغط الأزرار، بينما الكشافات تسلط
علينا من كل صوب.. ودنت طائرتان منا
أكثر فأكثر...

٥٢٠ - ج - ٧٧..

اضغطي زر الإدخال يا (سلمى)
بسرعة..

طلقة مرّت على بعد متر منا واصطدمت
بالتلوج..

لن يتخاذل الجهاز.. أعرف أنه لن
يتخاذل.. فلا وقت للمزاح ها هنا..
هيا...!

وتلاشت أرض المغول من حولنا.
ومن جديد اختلطت جزيئاتنا بجزيئات
الكون ذاته..

ولم يعد هناك قبل ولا بعد....



خاتمة

مرحبًا.. أنا د. (رفعت إسماعيل) يعود لكم..

لقد فرغت من مطالعة خطاب (سالم) ووجدته مسليًا بحق.. ربما هو بشع إلى حدٍ ما.. ينبو عن الذوق أحيانًا.. مقبض دائمًا.. لكنه مسل...

أنا - عن نفسي - أمقت المومياوات المشتعلة، والجثث مقطوعة الرأس، والطاعون بخاراريجه المملأ بالصديد... لكن البعض يحبون هذه الأشياء.. وإنني لن أفهمهم أبدًا..

يقولون إن مخرج الرعب الشهير (جون كاربنتر) قد تشاجر مع أحد المنتجين، وطالبه الأخير بإعادة إخراج أحد أفلامه، ليضيف له مزيدًا من الدماء والأطراف المبتورة (حتى لا يخيب أمل الشباب)!

لا بد أن هذا المنتج كان سيحب قصة (أرض المغول) كثيرًا..

لكني - برغم هذا - أجدها قصة جيدة عن القمع الوحشي.. ومحاولة الثورة ضدّ طغيان أعمى.. وخيال أحلام السيطرة لدى كل (ديكتاتور) رآته أرضنا التعسة هذه..

إن الشعوب لا تموت.. والامل لا يفنى..

وبعد.....

كانت هذه هي القصة الثانية لـ (سالم وسلمى)، والتي تأخرت دهرًا حتى قدمتها

لكم.. وثمة قصة ثالثة - ربما تروق لكم -
سأقدمها قريبًا جدًا هي (أسطورة أرض
العظايا).. وقصة رابعة هي (أسطورة
أرض الظلام).. وهي آخر ما لدي حاليًا
من قصصهما...

والآن نعود لعالمي اللطيف الرقيق..
سأحدثكم عن مصاصي الدماء!
إننا لم نتحدث عنهم من فترة طويلة جدًا..
وإنني لمندهش لأنني أهملت هذه القصة
المحببة لدي كل هذا الوقت..
إن الشاحبين يختلفون عن الآخرين، لهذا
يفضلون الوحدة.. ربما كان جارك منهم،
لكنك لن تعرف ذلك أبدًا..
لكن إذا انقلبت الآية ووجدت نفسك وحيدًا
في مجتمع من الشاحبين.... عندئذٍ.....

ولكن هذه قصة أخرى..

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

[تمت بحمد الله]

رقم
الإيداع:
١٦٠٦

المطبعة

العربية

الحديثة

٨ و ١٠ شارع ٤٧

المنطقة الصناعية

بالعباسية

القاهرة ت:

- ٢٨٢٣٧٩٢

٢٨٣٥٥٥٤

الفهرس

مقدمة

مقدمة أخرى

١ - أين نحن؟

٢ - أرض المغول..

٣ - أسئلة.. أسئلة..

٤ - فلنذب وسط الزحام..

٥ - فلنذب وسط الزحام.. (من جديد)

٦ - هل هو الأمل؟

٧ - الغارة..

٨ - أنقذوه!

٩ - أحدهم بيننا..

١٠ - الفرار..

خاتمة

ما وراء الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من قرط الدموض والرعب والإثارة

روايات مصر في الجيب

أسطورة أرض المغول

في أرض المغول يغدو الغد ضرباً
من أحلام اليقظة .. في أرض المغول
يصير الموت نشاطاً يومياً على قارعة
الطريق لا يثير اهتمام أحد .. في أرض
المغول لا توجد سوى لعبة واحدة هي
البقاء حياً ، ورياضة واحدة هي
الهرب ، وأمنية واحدة .. هي أن
تطيش الرصاصة القادمة
بعيداً عنك!



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم:
أسطورة الشاحبين

المؤسسة العربية الحديثة

للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ ٢٨٣٥٥٥٤ ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٢

الشمس في مصر
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

Notes

[←1]

وباء الطاعون: يبدأ بموت الفئران.. من ثم تغادر
البراغيث أجسادها لتغزو أجساد البشر..

[←2]

كل المعلومات التالية حقيقة.

[←3]

كل المعلومات التالية غير حقيقية.

[←4]

يُقال إن السبب هو أنهم استقروا في جزيرة
(الروضة) وسط النيل.